أجاثا كريستي

القاتل الغامض

المكتبة الثقافية

بيروت

القاتل الغامض

أجاثا كريستي

القَاتِلُ الغَامِض

المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان

القاتل الغامض

الفصل الاول

ظل الشاب قابعاً في مقعده بجانب النافذة ، بعد غروب الشمس بوقت طويل ، وقد بدت عليه سمات الهم والاكتئاب .

وكان له وجه نحيف دقيق العظام ، يكسوه الاصفرار ، ويتوجه شعر ذهبي مشعث لم تمسه يد الترجيل والتنسيق ، وفي عينيه العميقتين مظاهر الرزانة والجد .

أما الغرفة فقد محت يد الدهر رونقها ، فعريت من نقوشها وزخارفها ، ورث أثاثها وعبث به البلى .

ولم يشذ عن هذه القاعدة سوى صورة رائعة معلقة فوق الموقد العتيق ، لا تخفى قيمتها حتى على أقل الناس دراية بثمين التحف وآثار كبار الفنانين .

وتنبه الفتى من ذهوله واستغراقه ، ونهض فجأة وسار الى المنضدة حيث وقف هنيهة ويده على المصباح كأنه متردد في إضاءته ، ثم دلف إلى الغرفة

المجاورة دون ان يشعله

وبعد نصف ساعة فتح الباب ثانية ودخل شاب في ثياب المساء ، وأضاء المصباح دون تردد او إحجام . ووقف قليلاً بجانب النافـذة ، يتأمل سكون الليل .

ثم تناول من درج المنضدة غدارة صغيرة وضعها في جيبه ، وأخذ قبعـة ومعطفاً وعصاً وغادر الغرفة .

كان الشاب الأول هائل اللون ، جاداً رزيناً نحيف الوجه . أما هـذا الشاب فرح مشرق الطلعة تنم حركاته على الخفة والتقزز . له وجه مستدير باسم ، وشعر ناعم منسق .

وليس بـين الأحياء جميعاً ، سوى ثلاثة أشخـاص يعرفون أن هـذين الشابين الـلذين يختلفان كل الاختـلاف ليسا في الحقيقـة إلا رجلاً واحداً .

* * *

نظر إلى الفتاة الجالسة معه بالحانة ، وفي جيدهـا عقد من الزمرد الثمين ، فـلم يسعه إلا الشعور بالأسـف والرثاء ، لما يوشـك أن يحدث لها .

وكان شعرها الأحمر المتألق كاطار من اللهب يزيد وجهها الصغـير الجميل فتنة وإشراقاً ، ويضفي على عينيها النجلاوين خضرة لامعة تحكي لون الزمرد الذي يزين نحرها .

ولم تكن سوى روبي هيمرز التي اشتهرت باسم « غادة الزمرد » نسبة إلى ذلك العقد الشهير .

وراح الفتى ينظر اليها مفكراً ، وكان وجهه المستدير مرحاً متهللاً تتجلى في قسماته الخفة والتقزز ، وقد انثنى طرفا حاجبيه إلى أعلا ، في شكل غريب غير مألوف ، فخلعا عليه مسحة شيطانية تستلفت الأنظار .

ومال نحو الفتاة فجأة وقال :

– إخلعي هذا العقد وضعيه في حقيبتك يا عزيزتي ، فليس من الصواب أن تظهري به في مثل هذا المكان ..

وزمت شفتيها استخفافاً ثم وضعت العقد بالحقيبة الصغيرة الأنيقة نزولاً عند رغبته ، فقال :

– أحسنت .. ولعله لم يكن من الصواب أن أجيء بك إلى هذه الحانة الوضيعة .

فقالت متذمرة ·

– قبحاً لك ! إني لأشقى فتاة في الوجود ، فما يريد لي أحد شيئاً من اللهو والمتاع ، والناس يحسدوني دون ان يعرفوا ما أكابد من الهم والشقاء .

ومضت في التذمر والشكوى . إن بوبي هيمرز الثرية المترفة شقية سيئة الحظ ..

فالرجال الذين يتقربون اليها ويرددون على سمعها أناشيد الوجد والهيام إما من طلاب المال او من الحمقى الأغبياء الذين تضيق بهم وتزهد في صحبتهم ، وليس لها من صديق تثق به وتبثه نجواها ، فإن الناس جميعاً لا يضمرون لها سوى الأحنة والبغضاء ..

وقالت فجأة :

– ليس شئاً من يعنيه أمري ، وقد جئت لأغنم شيئاً من المرح والانطلاق .

وكان السهر قد بدأ ينال منها ، فثقلت أجفانها ، واسترخت شفتها السفلى قليلاً ، ونظر اليها الفتى مرة أخرى ، فقرأ في محياها آيات الجرأة والاقدام ، واستعاد في ذاكرته ما طالما فاضت به الصحف من أنبـاء تهورها واندفاعها

وقالت :

– سأحتسي كأساً أخرى ، فإما ان تفني قواي ، أو تذهب بحواسي ، وكلا الأمرين خير لي .

فطلب لها كأساً مضاعفة ، واعتمدت بمرفقيها على المنضدة ، وأخذت تتفرس في وجه الشاب ، لقد هجس في خاطرها عندما تعرفت به في إحدى حفلات الكوكتيل ، إن هيئته مألوفة لديها ، وما فتئت تحاول ان تتذكر أين التقت به قبل ذلك ومتى .

ثم قالت متبرمة :

– لقد مللت هذا المكان القذر .

– إني أعرف مكاناً آخر يروقك تماماً .

فنهضت وسار بها في عناية ورفق إلى حيث تركا سيارتها بالشارع ، وسألها وهو يجلسها بالمقعد الأمامي :

– أتحبين ان أتولى القيادة ؟

فأومأت برأسها موافقة دون ان تتكلم إذ لم يكن لها قبل بالكلام ، وقال :

– أتريدين جرعة من الشراب ؟

أومأت الفتاة ثانية بالإيجاب ، فرفع إلى شفتيهـا زجاجة جيب صغيرة بها ويسكي .. وإنها لتجد له مذاقاً يختلف بعض الاختلاف عن الويسكي ، ولكن ماذا يعنيها من ذلك أن الخمر خمر مهما يكن نوعهـا او طعمها .

كان الغلام حالكاً داخل السيارة ، وبدا لها انها تسير بسرعة مخيفة ، فأطاف برأسها حلم مزعج طالما روعها وهي طفلة ، وفتحت عينيها لحظة ، فلاح لها الشارع غريباً عنها لم تره من قبل ، وتولتها رهبة شديدة ، كأنها ترى نفسها في منقطع من الأرض ، بين المغاور والكهوف .

وحاولت استجماع أنفاسها لتصيح مستغيثة ، ولكن الصوت احتبس دون حنجرتها ، وأخذت الظلمات تطبق عليها ، والبرودة تتمشى في أوصالها .

وبذلت جهد اليائس المستميت ، لمغالبة هذا الكرى الذي يرين عليها ، ويثقل أجفانها ، ولكنها شعرت انها تهوي في هاوية مظلمة عميقة .

نظر اليها الشاب وعلى فمه إبتسامة الرضا والارتياح .

ثم انتزع الحقيبة الصغيرة الأنيقة ، من بين أصابعها ، ودسها في جيب سترته .

وما بلغ مفترق الطرق التالي حتى أبصر سياره ضخمة سوداء تتجه نحوه بأقصى سرعتها ، فأراد التحول عن طريقها ، ولكنه أعجلته عن ذلك وشعر بصدمة مريعة هائلة .

ساد السكون هنيهة .. ثم فتح عينيه فاستقبلهما ضوء خافت ينبعث من مصباح الشارع ، وراح يملأ رئتيه من الهواء الدافيء ، وقد علم انه لا يزال في عالم الأحياء .

وبعد أن استوثق من انه لم يصب بسوء ، انسل من السيارة المهشمة ، والقى نظرات سريعة فاحصة على ما حوله ، ورأى على كثب منه كومة من الحطام هي كل ما تبقى من السيارة الأخرى ، ولكنه لم يجد من الوقت متسعاً للوقوف على ما أصاب من بها ، فسرعان ما يقبل رجال البوليس ويعج

الشارع بالفضوليين .

وأخرج بوبي هيمرز من السيارة ، واندفع بها في زقاق مظلم .

وما ان اقترب صوت صفير الشرطة من مكان الحادث ، حتى كان قد بلغ نهاية الزقاق ، وتحول إلى الشارع التالي ، كالسهم المارق ..

* * *

قال المستر أبرنادي :

– إن البريد ليحمل الي كثيراً من الانذارات السخيفة ، ولكن ، هذه الرسالة ، تختلف عنها كل الاختلاف ، فقد تلقى بعض زملائي مثلها ، وأثبتت الحوادث ، أن صاحبها يعني دائماً ما يقول .

وجفف جبينه في اضطراب شديد ثم أردف قائلاً :

– إن الرجل مجنون بلا ريب .

فقال دونوفان في هدوء :

– إما ان يكون مجنوناً او عاقلا إلى درجة يعسر علينا معها فهمه .

وقرأ الرسالة مرة اخرى ، وكانت مكتوبة بخط واضح ، مائل قليلا ، في صيغة فاتورة صادرة إلى : « لوسيوس أبرنادي المحترم » ، كما يلي :

القيمة المستحقة للمجتمع عقد ستار فلاور
واجبة السداد فوراً

أما التوقيع فكان الحرف « ن » .

وحدق لوسيوس أبرنادي في البوليس السري قائلا :

– إنه سرق ، قبل ذلك ، صورة فورستر الشهيرة ، ولآلىء جيفورد .

فأخرج دونوفان ، من درج مكتبه ، رسالتين دفع بهما إلى محدثه قائلا :

– لقد كتبت هذه الرسائل جميعها يد واحدة ، وصيغتها متماثلة .

قال المستر أبرنادي مهتاجاً :

– ولكن من يكون هذا الشقي ؟ وإذا لم يكن مجنوناً فما غايته من كل هذا ؟

أجاب دونوفان :

– توجد رسالة اخرى .

وقدم إلى زائره رسالة مكتوبة بالخط نفسه :

القيمة تسددت بأكملها « ن » .

ثم قال :

– تلقى جيفورد هذه الرسالة ، او الايصال ، بعد سرقة اللآلىء ببضعة أيام . أما فورستر فلم يصله ، فيما أعلم ، شيء كهذا عن الصورة .

فعاد أبرنادي يمسح عرقه المتصبب وهو يقول :

– شد ما يزعجني هذا !

واضطجع دونوفان في مقعده قائلا :

– هل أسأت انت وفورستر وجيفورد إلى أحد ؟

أجاب ابرنادي وهو يهز رأسه

- لا أشعر أننا فعلنا شيئاً من ذلك عامدين ، وإن كان كل امر محتملا في عالم الأعمال ..

وخفض صوته ..

فسأله دونوفان في جفاء :

- ومن هم شركاؤكم ؟

- رتزو هيمرز و ..

ثم قطع عبارته فجأة وسأله :

- ولكني لا أفهم ما ترمي اليه .

فتنهد دونوفان قائلا :

- إن البوليس السري مثله مثل الطبيب ، لا يستطيع ان ينفعك إذا لم تخبره بالحقيقة كاملة . فإذا شئت ألا يسرق عقد ستـــار فلارو ، كما سرقت لآلىء جيفورد وصورة فورستر ، فلا مناص لك من إطلاعي على كل ما أريد .

- حسناً .. وسأخبرك بكل ما في وسعي .

- لست أريد إلا تكملة لما عندي من المعلومات .. لقد كنتم سبعة شركاء ، فيما أذكر ، والأربعة الباقون هم : رتز هيمرز وجنتر ومــاك جي وهيوم ..

- ولكن لم يكن في عملياتنا أقل مخالفة للقانون .

- سوف نرى . لقد ألفتم اتحاداً سرياً أنزل بالسوق المالية ضربة قاصمة . ولا أدري مقدار ما غنمتم من وراء ذلك من الثروات الطائلة ، ولكني أعلم ان كثيراً من المستثمرين خرجوا من هذه الكارثة وهم لا يكادون يجدون مـا يستر أبدانهم !

فقال المستر ابرنادي مبهوتاً :

- أتعني ان واحداً منهم يمكن ان .

– لماذا يعمل هذا الرجل المجهول على الانتقام منكم أنتم السبعة ؟ لقد تلقى فورستر أول إنذار فسخر منه وإن اتخذ شيئاً من الاحتياط ، فاستخدم حارساً زيادة على الحراس العاديين ، وأقام خفيراً خاصاً بالغرفة التي كانت بها الصورة .

وفي صباح أحد الأيام ، وجد الحارس موثقا مكمما بالحديقة ، والخفير بالغرفة غائبا عن الصواب بفعل مخدر لا نزال نجهل ما هو وكيف دس للرجل ، كما اختفت الصورة . وبهذه المناسبة ، من أين حصل فورستر على تلك الصورة ؟

فتململ ابرنادي في مقعده وأجاب :

– إنها مجموعة بورتر ، وقد ابتاعها فورستر عندما طرحت مقتنياته للبيع بالمزاد .

– ألم يكن بورتر ممن أصيبوا بالخراب في تلك الكارثة ؟

– كان في وسعه الانضمام الينا . لا ريب انك لا تعني .. ولكن بورتر قد مات .

قال دونوفان :

– أعلم ذلك .

ومد يده إلى مجموعة من بطاقات الفهارس ، فتناول إحداها وأخذ يقرأ بصوت مسموع :

– « جون بورتر : إنتحر في ٢٧ يونيو سنة ١٩٣٦ ، بعد ان فقد كل ما يملك في الكارثة المالية التي نزلت بالسوق - زوجته لونا بورتر ، قضت نحبها بنوبة قلبية في ٣ يوليو سنة ١٩٣٦ – جون بورتر الصغير ولده الوحيد بمستشفى للأمراض العقلية في فرنسا » .

فنظر اليه ابرنادي قائلا :

– لم أكن أعلم هذا .

– وقل من يعرفه .. ولا يزال المنكود بالمستشفى منذ خمس سنوات ، ولا يرجى شفاءه . . ألا ما أعظم مـا أحدثتم من الشر والأذى !

– ولكن كيف سرقت لآلىء جيفورد ؟

أجاب دونوفان :

– سرقت أثناء حفلة ساهرة . وكانت مسز جيفورد تتحلى بهـا برغم الانذار الذي تلقاه زوجها ، ولعله لم يذكر لها شيئاً عنه .

وتعرفت في الحفلة بشاب فاتن أبدىٰ أشد الاهتمام بها ، فانتحيا في في ركن منعزل حيث استغرقا في حديث شائق مستفيض ، وقـد وجدت نائمة في ذلك الركن بعد نحو ساعة ، واختفت اللآلىء والشاب جميعاً .

وصمت دونوفان برهة وهو ينظر في رقعة على مكتبـه ، ثم رفع رأسه قائلاً :

– يبقى بعد ذلك هيمرز وجنتر وهيوم وماك جي وانت ، ويظهر أنك التالي في القائمة ..

فزفر أبرناذي قائلاً :

– ولكنك ، لا تنوي أن تقف موقف المتفرج ، حـتى يظفر بالمقـد ؟

– إننا نعود إلى حيث بدأنا يا مستر أبرناذي ، يجب أن أقف على كل ما استطيع من المعلومات عن ضحايا تلك الكارثة التي دبرتموهـا في حذق واحكام .

وبعد أن نستبعد منهم من لا يمكن أن يكون موضعاً للشك والاتهام مثل بورتر المسكين نتبع الباقين بالبحث والاستقصاء .

فقال أبرناذي :

– لقد خطر لي ..

ولم يتم عبارته ، إذ فتح الباب وظهر الساعي قائلاً :

– المستر هيمرز يريد مقابلتك يا سيدي .

وقبل ان يجيب دونوفان ..

نحى الغلام جانباً ، ودخل الغرفة رجل طويل القامة ، قوي البنية ، جامد القسمات ، قاسي النظرات .

وهم دونوفان بالكلام ..

ولكن القادم أشار اليه بالصمت وقال :

– لقد تلقيت يا دونوفان إنذاراً بسرقة عقد الزمرد الخاص بابنتي بوبي ، ولكني لم أعره اهتماماً وظننته أسخف من أن يحفل به ، ولكني الآن ..

فابتدره دونوفان قائلاً :

– ولكنك جئت فيما أعتقد لأن العقد سرق ؟

أجاب هيمرز :

– هو ما تقول .. ولكن ليس هذا كل شيء ، فقد ذهب العقد وذهبت بوبي معه !

فهتف دونوفان في دهشة :

– ذهبت بوبي ؟ اتعني انها خطفت ؟

أجاب رونزو هيمرز :

– أو قتلت .

* * *

كانت اليقظة الأولى قصيرة مؤلمة لم تشعر بوبي خلالها بشيء مما يحيط بها ، وتنهدت وهي تطبق جفنيها من جديد ، ثم استيقظت اخيراً وقد أشرق الصبح .

ماذا فعلت في الليلة الماضية بحق الشيطان ؟

إنها لتذكر القيام بجولة في النوادي الليلية مع شاب جذاب تعرفت به في إحدى الحفلات ..

ثم لا تذكر بعد ذلك شيئاً .

ورفعت يدها إلى جبينها الذي يؤلمها فلمست عصابة مشدودة حول رأسها .

عجباً ! ما الذي أتى بهذه العصابة ؟

ثم فتحت عينيها .. فإذا بها في غرفة لا تعرفها ، وهي في بيجامة رجل !

وسمعت طرقاً خفيفاً فتدثرت بالغطاء .

ودخل شاب يحمل صحفة ، وكان نحيف البشرة ، حائل اللون ، لا يشبه صاحبها بالأمس ، ووضع الصحفة على مقربة منها .

ثم قال :

– لا ريب أن الملك شديد .

قالت بشيء من الحنق :

– بل الأمر أسوأ مما تظن .

– لقد كنت أتوقع هذا .. فطلبت إلى خادمي أن يعد لك شراباً منعشاً .. لا يعرف تركيبه سواه ، وهو أكيد الفائدة سريع المفعول !

فتناولت بوبي القدح الكبير من الصحفة وهي تقول :

– قد لا يفيدني .. ولكنه ، لا يمكن أن يزيدني أذى على كل

حال !.

وتذوقته فوجدته بارداً لاذعاً ، ولكنه خفف من حرارة فمها وقتاً من ظمئها ..

فجرعت جرعة أخرى وقالت .

– حسناً .. والآن ، أين أنا ؟

– أنت في بيتي .. واني لآسف عن تقصيري في توفير أسباب الراحة لك ، فما وجدنا قبل اليوم ضرورة لاعداد غرفة للضيوف .

فرفعت يدها إلى العصابة قائلة :

– وهذه .. كيف صارت هنا .

– لقد اصطدمت السيارة ، ولكنك لم تصابي بأذى كبير .

ففكرت لحظة ثم قالت :

– ومن جاء بي إلى هنا ؟

– أنا ..

فحملقت فيه مبهورة وهي تقول :

– ولكنك لست ..

ثم وقفت وهي لا تكاد تمسك أنفاسها ..

اذ أدار وجهه في تلك اللحظة ، فتبينت في شكله الجاني وجه رفيق الأمس .

وقالت بعد قليل .

– إنك نفس الرجل ، ولكن هذا محال .

فهز كتفيه قائلاً :

– إن المرء قد يتغير حتى بين عشية وضحاها .

– ولماذا جئت بي إلى هنا بدلاً من بيتي او المستشفى ؟

– لأني لم اكن في مركز يسمح لي بتقديم الايضاحات ، وخاصة إلى

رجال البوليس !

وتحسست جيدها ..

فهتفت :

– عقدي !

– انه بخزانتي ، اذ لا أزال مترددا بين بيعه كاملا ، أو تجزئة حباته ، ولم أبغي سوى سرقة العقد ، ولكن الظروف أرغمتني على خطفك أيضاً .

وراعه ان تنفجر الفتاة باكية كالطفل الصغير ، فقال في حنان مستغرب من مثله :

– أبكي يا فتاتي ففي البكاء شفاء من الغيظ والجوى .

ولما رأى دمعها سألها عما يبكيها !

فأعرضت عنه قائلة :

– انني أبكي لسبب واه لا يستحق الذكر ، فما تنفك الحوادث تؤكد شقائي وسوء حظي .

فأشعل سيجارة وجلس أمامها صامتاً في انتظار تتمة كلامها ، وبعد هنيهة تدفق الكلام من فمها سريعاً كالسيل ..

قالت :

– لم يهتم بي أحد طوال حياتي .. ولم أجد شيئاً من الحب والاخلاص .

ومضت تسرد عليه قصة طويلة لفتاة تعسة حرمت الرفق والحنان ، وأرهقتها الوحدة والانفراد .

فقد توفيت عنها أمها وهي طفلة ، فأنفقت عهد الطفولة بين أيدي المربيات والمعلمات .

ولم يتجاوز حظها من لهو الطفولة ومرحها ، اللعب في ساحة قصر

أبيها تحت ملاحظة الحراس المسلحين لئلا يخطفها الأشقياء طمعـــاً في الفدية !

وختمت قصتها قائلة :

- أيدهشك بعد ذلك ما اشتهرت به من الطيش والتهور ، إن الفتاة الغنية لا تجد حولها سوى الطامعين في مالها .

– هذا هو ما خطر لي في الليلة الماضية ..

فابتسمت قائلة :

– لقد نسيت ما كان يروقك مني . ولكنـك كنت صريحـاً على الأقل ، أما في البيت فالحال أسوأ من ذلك بكثير ، ان أبي هو هيمرز المظيم ، واني لأبغضه بغضاً شديداً ، فهو غليظ القلب فظ الطبـــاع ، ولولا قسوته ووحشيته لكانت امي الآن فيا أرجح على قيد الحياة ، وهناك أيضاً دورثي ، زوجة أبي ، وأنا منها في حرب عوان لا يخبو أوراها .

ولكن ويل لها إذا وقفت يوماً ما على قبيح فعالها !

ثم استطردت منفعلة :

– شد ما أتمنى أن يقف على ذلك .. وأن تموت ، أو يمـــوتا كلاهما !

فقال الشاب :

– لا بد لي من التصرف في امرك ، وقد تلجئين الى البوليس ، ولكني أشك كثيراً في فائدة ذلك ، فاني رجل من الصعب اقتناصه ، سأرسلك إلى بيتك .

فهتفت منزعجة :

– كلا ، إن بيت أبي هو السجن بعينه .

وقهقه الشاب قائلاً :

– هذه أول مرة اسمع فيها فتاة مخطوفة تصر على البقاء في أسر خاطفها !

ضجت الفتاة بالضحك كذلك وهي تقول :

– وهذه أول مرة أسمع فيها خاطفاً يصر على عودة فريسته إلى ذويها !

ثم أردفت في تؤدة وجدة :

– انت لص .. لص ظريف جداً ، ولا أدري رأيك فيما اوشك أن اقترحه عليك ، ولكني جادة فيه غير هازلة ، انك خارج على القانون ، واعتقادي ان في وسعي ان اكون لصة لا بأس بها ، فإذا أمكن أن تتخذ شريكة أو مساعدة .

وقف الفتى يحدجها بأنظاره متفحصاً وهو يفكر في اقتراحها ، ان انضمام ابنة رونزو هيمرز اليه يزيده قوة ومتعة ، ويتمشى مع ما لديه من الخطط والأهداف .

وقال اخيراً :

– قد قبلت اقتراحك .

فأجابت والجد لا يفارق محياها الجميل :

– ولعلي لا أخلو من نفع

تراقصت على شفتي الشاب ابتسامة ساخرة ، ابنة رنزو هيمرز الوحيدة تخوض غمار الجريمة والشر !

إن في هذا العالم من العدالة فوق ما يتصور بنو الانسان !

وقطعت عليه خواطره قائلة :

– ولكني أحب ان أعرف اسمك .

رد عليها الشاب :

– اسمي جون مون .

وأردف بعد لحظة :

– ولكني معروف في مكاتباتي بالحرف « ن » .

* * *

وقف بيلي بباب المكتب يرنو إلى استاذه البوليس السري دونوفان وقد استغرق في التفكير .

وحاول الشاب المرة الرابعة أن يعرف ما يستأثر بتفكير استاذه ، فقال في صوت مرتفع :

– ها هي الصحيفة التي طلبتها يا استاذي .

فنظر دونوفان كأنه يفيق من غيبوبة عميقة وتمتم :

– آه .. نعم تذكرت .. تذكرت .

وأخذ ينشر الصحيفة .

ولكن بيلي بادر إلى الاشارة الى خبر بالصفحة الأولى .

فقرأ دونوفان ما يلي :

« يحيط الغموض بمصرع توني باتشيلي ، وجو جريكيو الهاربين من وجه العدالة ، واللذين وجدت جثتاهما هذا الصباح بين حطام سيارتهما القوية ، ويعتقد رجال الأمن ان موتهما نتيجة اصطدام سيارتهما بسيارة يظن ان بوبي هيمرز ابنة ونزو هيمرز كانت تقودها .

وقد وجدت حطام سيارة مس هيمرز على مسافة يسيرة من سيارة القتيلين ، ولكن لم يعثر على اثر لسائقها أو راكبيها .

ويقال ان مس هيمرز غائبة عن نيويورك ، وقد أبى رونزو هيمرز الافضاء بأي إيضاح سوى القول ان ابنته تستمتع بالحياة والعافية ، وان

لا شأن لها بهذا الحادث على الاطلاق . »

وما كاد يفرغ من قراءة هذا الخبر ..

حتى اندفع الى الغرفة شاب يتوهم الناظر ان جسمه ليس به سوى ذراعين وساقين .

فابتدره دونوفان سائلاً :

– أريد محادثتك يا توم .

فابتسم توم كلارك وجلس قائلاً :

– لن انشر الخبر إذا لم تـأذن لي .. ولكن اين تخفي بوبي هيمرز ؟

فرد دونوفان :

– بوبي هيمرز ؟ لست اعلم منك بمكانها .

– لو قال هذا غيرك لقلت له انه كاذب .

– اليست غائبة عن نيويورك فيما تزعم صحيفتك ؟

– دعك من اللف والدوران ، فما تجهل انها قصة ملفقة لذر الرمـاد في العيون .. لقد امضى هيمرز وقتاً طويلاً عندك هـذا الصباح ، وكنت اقتفي اثره .

وفي بيته سلمت لي وصيفت بوبي ، بلا قيد ولا شرط بعد قليل من الغزل ، واعترفت لي بأن بوبي لم يظهر لها اثر منذ خرجت في الليـلة الماضية للعربدة كعادتها ، ولهذه القرائن كلها دلالتها ، وعندك بلا ريب الخبر اليقين .

فرد البوليس السري

– إن معلوماتك في هذا الحادث تفوق كل ما عندي .

فأغمض الصحفي الشاب عينيه قليلاً ..

ثم تمتم :

– اني اعرف في الحقيقة اين شوهدت آخر مرة ومع من ، فقد اخبرني رئيس الخدم بحانة « روندفو » وهي من احط الحانات ، انها كانت هناك في رفقة شاب لا يعرف عنه سوى انه اشقر ، شاب اشقر وسيم كان يهتم بمصلحتها اهتماماً شديداً .

وصمت دونوفان هنيهة ..

ثم قال :

– قد عرفنا الآن انه أشقر على الأقل .

فسأله توم كلارك في دهشة :

– هل سمعت به قبل ذلك ؟

– لم اسمع به ، فيما يتصل بمس هيمرز ، أمض في حديثك .

– أفي هذا الوصف ما يدلك عليه ؟

– بالتأكيد .

– من هو ؟

فقال دونوفان آسفاً : ليتني أعرف ذلك !

فنهض توم كلارك قائلاً :

– يظهر لي أن هذه الزيارة كانت مفيدة للجميع ، إلا أنا ؟

ثم أشعل سيجارة وأردف قائلاً :

– لقد جئت لسببين . الأول إذا كان لديك ما تريد الافضاء به الي ، والثاني إذا كنت تحب أن أتناسى مؤقتاً نتائج أبحاثي الخاصة فلا أنشرها ، فما رأيك ؟

أجاب دونوفان :

– الجواب « لا » عن الشطر الأول ، و « نعم » عن الشطر الثاني ، وإذا وجد شيء .

فقاطعه توم كلارك مكملاً :

ـ فستفضي به الي طبعاً ! حسناً .. إلى الملتقى .

وما أن انصرف الصحفي الشاب ، حتى استغرق دونوفان في التفكير من جديد .

فنظر اليه مساعده بيلي آسفاً .. ثم انتحى في ركن يقرأ الصفحة الفكاهية ..

وانتبه دونوفان من استغراقه أخيراً ، وفتح درج بطاقات الفهارس ، وأخذ يتفحصها واحدة واحدة ..

حتى وقف عند إحداها !.

فرفعها من موضعها وراح ينظر فيها :

« جون كازاليس : اختفى في ١٢ إبريل سنة ١٩٣٦ » .

إن تفاصيل هذا الحادث الأليم لا تزال حاضرة في ذهنه ..

كان جون كازاليس مستخدماً صغيراً معروفاً بالنزاهة والأمانة عند هيمرز ، وفقد كل ما يملك وهو نحو ثلاثة آلاف دولار في تلك الكارثة المفتعلة ..

ويظهر ان الصدمة ذهبت بعقل ذلك المنكود ، فمضى يهدد هيمرز ويتوعده ، حتى اضطر هذا إلى استدعاء دونوفان لحمايته ..

وفي تلك الليلة من شهر إبريل غادر جون كازاليس بيته ، وهو يعد زوجته بالعودة عاجلاً .

واتضح فيما بعد انه استقل القطار إلى أقرب محطة من ضيعة هيمرز في الريف !

وهناك اختفى كل أثر له .

وضم دونوفان حاجبيه مفكراً وهو ينظر في البطاقة !

ان مولي كازاليس تقيم بالمنزل رقم ٨٢٥ بشارع ملتون ، وانه ليذكرها جيداً ، فهي إمرأة شاحبة اللون ، دمثة الطباع ، بها مسحة

من الجمال .

وقد روعها الرزء وهاضها ، ولكنها استقبلته في شجاعة خليقة بالثناء والاعجاب ..

ولها أيضاً طفلة صغيرة .

وأغلق دونوفان صندوق البطاقات ونهض فجأة .

كانت الشمس مشرقة دافئة ، وروزالي كازاليس تفرك قدميها الصغيرتين الحافيتين على الرصيف ..

وهي تتمنى لو دام هذا الدفء ، فإن البرد ليؤلمها ألماً شديداً في الشتاء !.

وإن الجوع ليشتد فتكه بأحشائها الصغيرة في ذلك الفصل .

وها هي الساعة قد بلغت الخامسة وأوشكت أمها أن تعود ، ولكن روزالي تود أن تعجل بالعودة ..

فقد كان ما في البيت من الطعام للغداء قليلاً تافهاً ، وكان طعام الافطار أقل منه ..

– هل أمك هنا يا روزالي !

رفعت روزالي عينيها ، فرأت دونوفان يشرف عليها بقامته المديدة وأجابت :

– كلا ، ولكنها ستعود عاجلاً ، كيف عرفت اسمي ؟

فقال البوليس السري وهو يجلس على الدرج المفضي إلى الباب :

– رأيتك مرة منذ زمن بعيد وكنت صغيرة جداً ، هل تشتغل امك بعمل ما ؟

– نعم يا سيدي ، وهي تبكر في الذهاب إلى عملها كل صباح .

– لو سئلت يا روزالي عما تتمنين في هذا العالم فماذا تقولين ؟

فأجابت الطفلة على الفور :

— أتمنى طبقاً من « جيلاتي » الفراولة المعروضة صورتهـا بواجهة محل الحلوى القريب من هنا .

— هذا اختيار موفق

وغالب هذا الرجل عبرات التأثر والرثاء وهو يخرج من جيبه قطعـة من النقود ويعطيها إلى الطفلة قائلاً في حنان :

— إذهبي وابتاعي اكبر طبق بالمحل من « جيلاتي » الفراولة .

وانطلقت الطفلة وفؤادها الصغير يكاد يطفر جذلاً وابتهاجاً .

وما كادت تغيب عن بصره حتى رأى الأم تقبل من الناحية الأخرى في مشية الخائر المكدود .

فتقدم لملاقاتها قائلاً :

— مسز كازاليس ؟ هل تذكرينني ؟

فأخذت المسكينة بهذه المفاجأة ولاحت في وجهها امـارات الخيبة والقنوط وقالت :

— آه .. مستر دونوفان ! كان ينبغي ان اتوقع مقدمك من اجل النقود فإن الأمر لأطيب من أن يكون حقيقة ..

* * *

وقال بعدما أغلق عليهما باب الحجرة الرطبة الحقيرة .

— ما هذه النقود التي تتحدثين عنها ؟

فأجابت وهي تحملق فيه مدهوشة :

— اتجهل أمرها حقاً ؟

ثم فتحت درجاً وقدمت اليه مظروفاً .

ولم يكد يفرغ محتوياته حتى صفر بفيه ، إذ الفى بين يديه عدة آلاف من الدولارات .

وسقطت رقعة صغيرة من الورق على الأرض ، فـالتقطها ونظر فيها :

٢٩٠٠ دولار .

٢٩٠ دولاراً خصم ١٠ في المائة من مصاريف التحصيل

٢٦١٠ دولارات

« ت »

وما كان دونوفان في حاجة إلى هذا التوقيع ، فقد كان الخط كافياً للدلالة على كاتبه .

وهمست مولى كازاليس :

- أتفهم لهذه الرقعة معنى ؟

أجاب ساهماً .

- اجل ، اني افهم معناها .

هذا إذن هو مصير لآلىء جيفورد وزمرد هيمرز ، ان ثمة رجلاً يسرق أولئك اللصوص الذين جنوا الثروات الطائلة من العبث بالسوق المالية كي يرد إلى ضحاياهم ما خسروه ..

وسألها بعد قليل :

- متى وصلك هذا؟

- ببريد الصباح ، واني افي أشد الحيرة ممـا ينبغي أن افعل بهـذا المال .. ولو كان يحق لي الاحتفاظ به لنقلني من الجحيم إلى النعيم !

فوضع دونوفان المظروف على الخوان

ثم قال :

– إن مجيئي لا شأن له بهذا المال ، وسنتحدث عنه فيما بعد . ولكني أريد أن أعرف ، ألم يبلغك نبأ عن زوجك منذ اختفائه ؟

فهزت المسكينة رأسها في حزن .

ثم قالت :

– لو سمعت شيئاً يا مستر دنوفان لبادرت بالذهاب اليك .. انني لا أشك في موته .. فلو كان حياً يرزق لعاد الينا برغم كل شيء ..

وفكر دونوفان ملياً .

ثم قال :

– اني اتفق معك في هذا الرأي . لقد أخبرتني روزالي انك تشتغلين ، فما هو عملك ؟

– خياطة الثياب واصلاحها لمستر ماك جي ؟

– ماك جي !

يا للعجب !.

ما اكثر ما تتردد أسماء اولئك الرجال السبعة !

وأجابت مولي كازاليس :

– نعم يا مستر دنوفان .. وقد كان اول من استخدمني هي مس بوبي هيمرز عقب اختفاء زوجي ، وكانت تعاملني في كثير من العطف والكرم ..

وكنت قد ذهبت لأسأل أباها عملاً عنده أعيش منه انا وابنتي ، إذ ظننت أن لنا عليه حقاً بسبب طول خدمة زوجي له في أمانة واخلاص .

وشاء حسن حظي أن القى ابنته لغيابه ، فعهدت الي بمساعدة وصيفتها في العناية بثيابها وترتيبها ، وشددت علي بكتمان شخصيتي عن

أهل البيت جميعاً ..

وقد بدت لي هذه النصيحة في حينها غريبة لا موجب لها.

وإنما ما حدث بعدئذ أيد ما فيها من الحكمة والصواب ، فلقد اكتشف المستر هيمرز حقيقتي بعدئذ بسنة فأصر على فصلي ، وقدمتني ابنته الى مسز ماك جاك وأوصتها بي خيراً .

فقال دنوفان :

– عجيب أن يعترض هيمرز على بقائك بخدمة ابنته مع انك لم تسيء اليه ، ولم يكن لك ذنب في تهديد زوجك له ..

– لا أدري .. وإنما الرجل كان ثائراً مهتاجاً ، وبدا لي أنه لا يقر له قرار حتى أغادر بيته .. على اني في الحق لم آسف على فراق ذاك البيت ..

فنظر اليها دنوفان متسائلاً :

– لماذا ؟

– انه كان أشبه بمستشفى المجاذيب يا سيدي ..

فليس من طبعي الفضول . غير ان المس بوبي وأباهـا ، لم يكونا يتفقان في أمر من الأمور ، وهيهات أن تصدق كيف كان ينشب بينهما الخصام ..

– بل أصدق ذلك .

– ولو رأيت ما يحدث بينهما لاعتقدت بأن كلا منهما يكن للآخر بغضاً شديداً قاتلاً ، بل لعل هذه هي الحقيقة .

وقد فهمت مما سمعت ان امرأة هيمرز الأولى ، أي والدة بوبي كانت سيدة كريمة النفس رقيقة الطباع ، لا يرضيها شيء من قسوة زوجها وخسته ، ويلوح لي أنه لا يستطيع أن ينظر إلى بوبي دون أن تطالعه فيها صورة امها ..

– وزوجته الحالية ؟

– لقد كنت أنفر منها نفوراً شديداً ، فهي امرأة شريرة فاسدة تخدع زوجها وتعبث به .

وأخذ دونوفان يقلب بصره في الغرفة الحقيرة الرطبة ..

ثم قال :

– اظن انه ينبغي عليك قبول هذا المال يا مسز كازاليس .

فهتفت المسكينة والعبرات تجول في عينيها :

– اتقول حقاً ؟

– نعم ، انها ملك حلال لك ، لأنه لم يكن لك ذنب في خسارتها ، والله يعلم شدة حاجتك اليها .

وعاد إلى مكتبه ووجهها المشرق المتهلل لا يبرح خاطره ، وقد لاحت في وجهها إمارات الرضا والارتياح .

ونظر إلى مساعده بيلي متسائلاً ..

فأجابه :

– لقد كنت الآن اعتدى على القانون إذ نصحت لامرأة بقبول أشياء مسروقة .

قال بيلي :

– لا ريب انك لم تتجاوز الحق والعدل فيما فعلت .

واشعل البوليس السري غليونه واستقر في مقعده وراح يفكر .

ماذا حدث لجون كازاليس ؟

إن مولي كازاليس يغلب ان تكون على حق في اعتقادها بموته ، فلو كان على قيد الحياة لحاول أن يعرف ما آل اليه امر زوجته وابنته بعده .

ولكن اذا كان قد مات حقاً فكيف كان مصرعه ؟

ماذا أو من قتله ؟

ولماذا لم يظهر لجثته أثر ؟

ولاحت منه نظرة إلى المكتب ، فتجهم وجهه وبــدت عليــه إمارات الضيق والاستياء .

فقد رأى عليه رسالة من مدير مستشفى الأمراض العقلية الفرنسي ينبؤه بفرار جون بورتر !

الفصل الثاني

تنهد الرسام الفرنسي حسرة وأسفاً ، وهو ينظر من عابرة المحيط إلى الغادة الرشيقة الشقراء ، التي تعبر الجسر الخشبي إلى ميناء نيويورك .

ولقد كانت محط أنظاره ، ومحل عنايته واهتمامه ، منذ أبحرت الباخرة من فرنسا .

وقد أدرجت بقائمة المسافرين تحت اسم برتا ماكشزني ، من كولشتر بانجلترا .

ولم يستطع ان يعرف أكثر من ذلك عنها ، كما أخفقت جميع محاولاته في التقريب اليها وعقد أواصر الصداقة معها .

ولكن يا لها من إمرأة طويلة القامة ، متناسقة الأعضاء ، وضاءة البشرة ، ذات شعر مرسل قصير في صفرة الذهب

وهي على ما اجتمع لها من معاني الحسن وآيات الفتنة والجمال ، نفور كالظبية الوحشية .

وتنهد مرة أخرى ، عندما رآها تبلغ نهاية الجسر الخشبي ، وتغيب في غمار الجماهير المزدحمة برصيف الميناء ، وكان هذا آخر عهده بها .

وما كادت برتا ماكشزني تفرغ من السميات التي لا مناص منها لكل قادم من الخارج ، حتى قصدت من فورها إلى فندق معتدل الأسعار ، فسجلت اسمها وحصلت على غرفة به .

ولم يمض على ذلك أسبوع واحد ، حتى غدت لغزاً من الألغاز العالمية ، التي يكتنفها الغموض والخفاء ، ومشكلاً من المشاكل المستعصية ..

فلقد غادرت هذه الفتاة الانجليزية الفندق عقب حل أمتعتها وعادت بعد بضع ساعات تحمل أكداسا من الحزم ، وبعد قليل تلقت من أحد المتاجر ربطتين كبيرتين أو ثلاثا .

وفي صباح اليوم التالي وجدت الخادمة الغرفة خالية ، والفراش منظماً لم يمس .

ولم يزعج غيابها أحد في أول الأمر .

بيد أنه عندما انقضى اليوم الثالث دون ان تظهر ، بدأ البحث والتحقيق .

لم يتذكر أحد من عمال المصعد ، أنه هبط بها إلى الطابق الأرضي .

وراحوا يؤكدون ، جميعاً ، أنهم ما كانوا ليغفلوا عن ملاحظة ذلك ..

فليست برتا ماكشزني بالمرأة التي لا تسترعي النظر .

وقامت الخادمة التي تولت حل أمتعتها بتفتيش الغرفة ، ثم أعلنت أن ثياب الفتاة كلها موجودة ، بما فيها الثياب التي كانت عليها عند وصولها إلى الفندق ، أما الأشياء التي ابتاعتها بعد قدومها فلم يعثر لها على أثر .

وأخيراً ، فحصت سجلات المتجر ، لمعرفة الأشياء التي

اشترتها منه .

فظهر ان برتا ماكشزني ابتاعت مجموعة كاملة من ثياب الرجال الداخلية والخارجية حتى القبعة والحذاء .

وكان طبيعياً ، ان يستنتج المحققون ان الفتاة تنكرت في ثياب الرجال .

ولكن الواقع كان بعكس ما ذهبوا اليه تماماً .

لم تكد تلك الزائرة المجهولة الغامضة تلبس ما ابتاعته من الثياب ، وتزيل من وجهها آثار المساحيق والأصباغ ، وتنظم شعرها القصير المتهدل .

حتى انقلبت الفتاة الانجليزية شاباً وسيم الوجه ، ولكنه لا يختلف عن أمثاله من الرجال .

وأخذ قبعته الناعمة وغادر الغرفة ، ثم وقف عند باب المصعد وفكر لحظة ، فلم يلبث ان اتجه إلى السلم ، وكان عليه ان يهبط أحد عشر طابقاً .

ولكنه لم يكن ليجازف بافتضاح حقيقته ، وأفضى به السلم إلى باب جانبي للفندق .

فانسل منه مسرعاً إلى الشارع ، ثم اختفى في الجماهير التي يعج بها الرصيف .

وفي تلك اللحظة عينها ، كان دونوفان جالساً إلى مكتبه يحدق في رسالة الطبيب الفرنسي .

وكان الرأي السائد هناك ، ان المريض لم يحاول مغادرة فرنسا ، وإن رجال البوليس واثقون من اعتقاله سريعاً ، وإن لم يقفوا له على أثر بعد .

وشعر دونوفان ببعض الراحة ، فان ذلك المجنون الهارب إذاً لم يتمكن

من الوصول إلى نيويورك .

كان لدونوفان ان ينجو من هذه المشكلة الجديدة ، فحسبه ما يكاد ينوء به من المشاكل والمشاغل .

وكان ذلك الرجل في تلك الأثناء يسير في شوارع نيويورك بين الجماهير ، وهو يقلب بصره في واجهات الحوانيت والأبنية الشاهقة وإعلانات المسارح والملاهي ، ولا يكف خلال ذلك عن التحديق في وجه كل من يمر به فاحصاً مستقصياً ..

كان كل ما يراه مألوفاً لديه ، ولكنه لا يستطيع ان يذكر انه كان بهذه المدينة من قبل .

ولم يكن يحب ان يفتش في زوايا ذاكرته المعتمة القاتمة ، فليس بها غير صور قلائل متفرقة ولا اتصال بينها ولا اتساق .

وانه ليعلم ان اسمه جون بورتر .

فما أكثر ما أعادوه عليه في المستشفى مراراً وتكراراً حتى أدرك أخيراً انه اسمه .

ولكن شيئاً واحداً ظل ماثلاً في خاطره ، منذ اللحظة الأولى ، في أتم الوضوح والجلاء ..

هو انه يجب ان يفر من المستشفى .

ولقد استغرق رسم خطته عدة شهور .

وقد غادر المستشفى مريض آخر لشفائه ، وكان قبل خروجه قد توثقت أواصر المودة والصداقة بينه وبين جون بورتر واقتنع بصحة عقله .

وسنحت لجون بورتر الفرصة وتمكن من الفرار .

ولم يكد يبدأ البحث عنه ، حتى كان قد اهتدى إلى مكان ذلك الصديق .

وزعم له ، ان جماعة من أهـله يكيدون له ، ويعملون على حبسـه بالمستشفى ، حتى يخلو لهم الجو ، ويستأثروا دونـه بثروته .

وان لا بـد له من العودة إلى نيـويورك ، لاستخلاص حقوقـه المغتصبة .

وأعانه ذلك الصديق بالمال وغيره من وجوه المساعدة .

كما ابتاع له ثياب برتا ماكشزني سراً ، وأعد له الجوازات وتذاكر السفر .

وها هو قد وصل إلى وجهته .

وبرغم ما يغشى ذاكرته من الغيـوم ، فإن بها امراً واحداً واضحاً كل الوضوح .

هو الغرض الذي جـاء إلى نيويورك لانجازه ، والرجل الذي سعى في طلبه .

لقد نسي لماذا يمقت هذا الرجل ، ولكن كان محالاً ان ينسى ذلك الحقد المريع الهائل .

ولم يبق بذهنه الغائم الخامد ، من الأسماء كلها ، غير اسم واحد ، هيمرز !

* * *

قال دونوفان في ضجر :

ـ لا حاجة بك إلى الكلام ، فإني أعرف مـا حملك على المجيء . لقد تلقيت رسـالة من رجل ، يوقع بالحرف « ن » ، ينذرك فيها

بالسرقة !

فغفر ولفريد هيوم فمه دهشة وقال :

– قد أضفت إلى مواهبك لزق قراءة الغيب !

أجاب دونوفان :

– بل الأمر أوضح من ان يتطلب حتى الحدس والتخمين .

وكان زائره واحداً من اولئك السبعة الذين اشتركوا في تلك الضربة المالية المشهورة .

ولكنه الوحيد فيهم ، الذي يكن له دونوفـــان شيئاً يقرب من الاحترام .

وهو شاب في مقتبل العمر ، وسيم الوجه ، قوي العضلات ، أنيس المعشر .

وقال دونوفان اخيراً وهو يتناول منه الرسالة :

– فلنرها !

وكانت مصوغة في قالب الرسائل الأخرى تماماً ، غير ان المطلوب هو « تاج فوردويس » .

ووضعها دونوفان جانباً بعد قراءتها وقال :

– لقد كنت أتوقع شيئاً كهذا .

فقال ولفريد هيوم دون ان يبدي شيئاً من الدهشة :

– وكذلك أنا .

– هل علمت بالسرقة الأخرى

– كلا ، غير اني أحسست ان هناك شيئاً من هذا القبيل يكتمه أصحابه وطووه عن الصحف .

– انك انت الذي تقرأ الغيب

– بل هو محض استخلاص النتائج من المقدمات ، إذن إني أعرف ماذا

يفعل ذلك الرجل بثمن المسروقات .

– هل لك ان تخبرني كيف وقفت على ذلك ؟

فأشعل الشاب سيجارة ثم قال :

– إن لي صديقة عجوزاً تقيم في كونيكتيكوت ، وهي مربيتي الأولى ، وقد اكتشفت منذ زمن غير بعيد انها فقدت كل ما تملك من حطام الدنيا ، عندما كان هيمرز يحرك السوق لمصلحتنا المشتركة .

ولكم تمنيت ، منذ تلك اللحظة ، لو انني لم أشترك في تلك العملية الشائنة .

لكني قليل الخبرة بشؤون المال

وكنت أنقاد لهيمرز انقياداً أعمى دون ان أدرك ما تنطوي عليه أعماله من الشر والاجرام .

ومنذ وقفت على امر تلك الصديقة المسكينة أخذت أرسل اليها تحاويل مالية بانتظام ، شاعر بأني مسؤول عما أصابها .

وقد جاءتني منذ أيام قلائل بقصة تثير الدهشة والعجب ، إذ تلقت بالبريد رسالة معها المبلغ الذي خسرته ناقصاً عشرة في المائة مصاريف التحصيل فيما ذكر صاحب الرسالة .

قال دونوفان :

– وكانت الرسالة بنفس الخط المكتوب به الانذار الموجه اليك ، ومذيلة بالحرف « ن » أيضا ؟

فأومأ هيوم برأسه وقال:

– وها أنت ترى القاصد ذلك الرجل ، ولك ان تقـــدر ما أشعر به نحوه ..

– ما الذي تشعر به إني أعرف قيمة « تاج فوردويس » ؟

– إن قيمة هذا التاج عندي لا تقدر بما يساويه من المال ، فقـــد

كانت أسرتي تمتلكه في انجلترا ، قبل ان تجيء به إلى هذه البلاد بزمن طويل .

فله عندي قيمة لا يمكن ان تكون عند شخص آخر لما يتصل به من الذكريات والاعتبارات العائلية .

وإذا سرقه ذلك الرجل المجهول فلا بد من تكسيره ، إذ لن يستطيع بيعه سليما كاملا .

وهو امر أؤثر عليه ان أفقد عيني .

قال دونوفان :

– ليس أمامك إذن سوى إيداعه بأحد المصارف .

– بل لدي فكرة أخرى ، لم أشأ التحدث عنها قبل معرفة رأيك . إن هذا الرجل واقف ، بلا ريب ، على مكان التاج ، ووسائل المحافظة عليه . وسأنقله الليلة من مكانه ، وأضع ربطة أخرى بدلاً منه .

سأله دونوفان :

– وما عسى أن تحويه هذه الربطة ؟

– نقوداً تعادل ثمن التاج تماما ، ومعها رسالة تشرح غرضي .

ففكر دونوفان مليا ثم قال .

– إنها فكرة لا يتمخض عنها سوى فكر طائش مغرق في الخيال ، لكني لم أكن لأفعل غير ذلك لو كنت مكانك .

وظل ، بعد انصراف الشاب ، شاخصا ببصره نحو الباب ، وهو عابس .

إن ولفريد هيوم كان صديقا حميا لأسرة بورتر التي حطمتها الكارثة المالية .

كما ان الشاب ، جون بورتر الذي أصيب بالجنون ، كان من أعز أصدقائه .

والناس يتهامسون كذلك ، عن علاقات فاضحة ، بين الشـــاب الوسيم ولفريد هيوم وزوجه رتزو هيمرز ، التي كانت قبل الزواج من فتيات الملاهي .

وثمة أمر آخر يتصل بهذا الشاب .

فان جون كازاليس الذي اختفى ، ينحدر من أسرة كريمة ، أخنى عليها الزمن .

وقد تلقى تعليما حسنا بفضل والد ولفريد هيوم ، كما كان ولفريد نفسه صديقا له .

ألا ما أعجب المصادفات في هذه القضية ، وليس أقل هذه المصادفات عجبا ان جميع من يتصلون بها من أصحاب الشعر الذهبي والقامة المديدة والوجه الأشقر الوسيم .

وهو وصف ينطبق على الرجل المجهول ، الذي يوقع بالحرف « ن »

كما ينطبق على جون كازاليس .

وعلى الشاب المجنون جون بورتر .

بل انه لينطبق كذلك على ولفريد هيوم نفسه

* * *

طالعت زوجة رتزو هيمرز الحقيقة المروعة في مرآتها ، ولم يعد أمامها مجال للتجاهل والانكار .

إن جمالها يذبل ودولة حسنها آخذة في الزوال .

وما خطر ذلك ببال دوروثي هيمرز انه ليس لها من معاني الحسن غير نضرة الصبا وطراوة الشباب .

ولم تفطن إلى ذلك إلا عندما طوى خليلها ليون أحاديث الصبابة والغزل وتحول إلى الاستغلال والابتزاز !

ليون ! ذلك الوحش المريع ! ما الذي كان يروقها منه ؟ أعينـــاه السوداوان اللتان تشبهان عيني الكلب ؟ أم شعره المضمخ بالزيت والطيب ؟ أم حذاؤه المدبب القبيح ؟

وفرغت من استكمال زينتها والاستعداد للخروج ، فطلبت إلى وصيفتها ايفا ان تأتيها بورقة كبيرة من ورق الحزم .

وأخرجت من صندوق مجوهراتها سوارين مرصعين بالأحجار الثمينة النادرة وراحت تتأملهما في حسرة وأسف .

لقد كان من حسن حظها ان تلقى رونز تينك الرسالتين المذيلتـــين بالحرف « ن » .

وعجيب ان يوليهما زوجهـــا كل ذلك الاهتمام ، وإن كان اهتمامه يوافق غرضها ويمهد السبيل لانفاذ خطتها .

وعادت ايفا بالورق .

قالت لها :

– لفي هذين السوارين ، فسآخذهما معي لتنظيفهما ، وإصلاح مشبك أحدهما

– وهل تأمنين عليهما يا سيدتي ؟؟

– نعم .. فلن أحملهما أبعد من حانوت الجوهري .

ولاذت الوصيفة بالصمت على مضض فقد أعذر من أنذر .

وهبطت دورثي السلم مزهوة بجمالها المستعار وحسنها المجلوب ، ثم صعدت إلى السيارة وطلبت إلى السائق الذهاب إلى متجر عينته له .

واضطجعت في مقعدها وهي ترمق السائق تونى من ورائه بنظرات تفيض بالحقد والبغضاء .

فإنها تعتقد انه يتجسس عليها لحساب زوجها .

وراحت تستعيد في ذهنها الخطة التي رسمتها .

فستتخلص قبل كل شيء من كل ممن قد يكون متتبعاً خطواتها ، ثم تذهب ماشية إلى الغرفة الصغيرة التي تجتمع فيها بعشيقها ليون ، وبعد أن تعطيه السوارين يحملها في سيارته إلى ناحية منعزلة من الحديقة العامة ، حيث يتركها غائبة عن الوعي .

وستزعم عندما يعثرون عليها بعد ذلك انها استقلت سيارة أجرة لتذهب بها إلى حانوت الجوهري ، فشعرت فيها بدوار لا تذكر بعده شيئاً حتى عادت إلى الرشد بالحديقة .

وصرفت سائق سيارة زوجها عندما وصلت الى المتجر ، بدعوى انها ذاهبة إلى السينما بعد ابتياع ما هي في حاجة اليه .

وأرادت أن تضالل من قد يكون في أثرها من الرقباء ، فدخلت المتجر وصعدت إلى الطابق الثالث حيث دخلت استراحة السيدات ، وغادرتها من باب خلفي لا يعرفه غير القليلين .

ثم هبطت السلم إلى الطابق الأرضي ، وأخذت تتنقل بين مختلف الأقسام ، حتى استوثقت انها بأمن من كل رقيب .

فانسلت من باب جانبي واختفت في غمار المارة ، وتلفتت حولها في حذر وحرص

ثم استوقفت أول سيارة أجرة مرت بها ، وهبطت منها عند ركن قريب من البيت الذي اتخذت منه وكراً لفجورها ..

وهو بيت عتيق كان فيما مضى معداً لسكنى أميرة واحدة ، ثم قسم إلى غرف مستقلة .

لم يكن ليون هناك عندما دخلت دوروثي ، إذ كان التـــأخير من عادته .

فجلسـت على أحد المقاعد الكبيرة في فتور واسترخاء ..

ومالت برأسها على ظهر المقعد ، وأسبلت جفنيها وقد تداخلها الأمى على عهد يؤذن بالانصرام .

وتمنت لو أنها هنا لتساقي ليون كؤوس الهوى والغرام .

بدلاً من أن تدفع اليه بالسوارين .. ثمناً لسكوته .. وتفارقـه فراق الأبد .

وبدت لها الغرفة خانقة تكاد تكتم أنفاسها وترهق روحها ، كأنمـــا خلت من الهواء !

فقامت لتفتح النافذة ، ولكنها أحست بخوار في قواهـا ، وتخاذل في ساقيها ، كأنها على وشك الاغماء ..

وقبل أن تلمس النافذة ، سمعت صوتاً من خلفها ..

فظنت ، أن ليون قد أتى ، واستدارت إلى مصدر الصوت ، فلم تر أحداً !

ووقفت أمام الباب مصغية وهي تجزم أن وراء الستائر شخصاً .

وخطر لها أن ليون قد اختبأ ليفاجئها !

لكنها لمحت طرف حذاء بارز من تحت الستار ، ولم يكن ذلك الحـذاء بالضيق ولا المدبب ، ولا اللامع كحذاء عشيقها !

فأرادت الصياح مستغيثة !.

لكن صوتها احتبس وجمدت أعضائها ، وأحست كأن الغرفة تدور بها ، وتعلقت بأحد المقاعد حذر السقوط ، وإذا بها ترى ظلاماً دامساً يغشى كل ما حولها !

وقبل أن تغيب عن الوعي تماماً .

رأت شاباً يخرج من وراء الستار ، وكان رشيقاً وسيماً أشقر وعلى شفته ابتسامة رهيبة .

* * *

أغلق الرجل الذي يرمز إلى نفسه بالحروف « ن » الباب الذي دخلت منه دوروثي هيمرز منذ وقت وجيز ؛ ثم وقف يتفحص الردهة المظلمة الزرية ..

وكان البيت ساكناً كالقفر الموحش ، فأرهف الرجل سمعه لحظة ، ثم سار إلى باب بجانب الباب الذي أغلقه ، ففتحه ودخل الى غرفة عارية مقبضة ، وربما كانت فيما مضى غرفة زينة متصلة بالغرفة التي استأجرتها دوروثي لعشيقها .

فلما قسم البيت أقيم بين الغرفتين حاجز خشبي ، وكان هذا الحاجز كبير الفائدة للشخص المجهول .

فقد كان في وسعه أن يسمع من خلفه كل ما يدور بالغرفة الأخرى .

وهكذا أتيح له ، أن يقف على الخطة التي دبرها العاشقان لإخفاء السوارين ..

ولف « ن » السوارين بعناية في منديل ، ثم وضعهما بأحد جيوبه الداخلية وبعد ذلك أخرج مظروفاً وكتب رقعة إلى صاحبة البيت بأنه لم يعد في حاجة إلى الغرفة ..

ثم ختمه ووضعه على المنضدة ..

وأخذ يجيل عينيه في الغرفة متقصياً ، لئلا يكون أغفل شيئاً .

وإذا به ينتصب فجأة ويرهف سمعه ، إذ سمع من الغرفة المجاورة صرير

مفتاح .

ثم فتح باب واغلاقه .

تجهم وجه مون ، فما كان في حسابه أن يعجل ليون مارنيلي بموافاة عشيقته هكذا بعد أن وضع في سبيله من العراقيل ما يضمن تأخيره إلى الوقت الذي يلائمه .

وفتح جون مون نافذة غرفته في سكون ، وكان تحت حافتها تماماً طنف عرضه أربعون سنتيمتراً ، يدور حول البيت إلى نقطة يسهل القفز منها إلى سطح الجراج المجاور .

ووقف عدة دقائق أمام النافذة منصتاً ، فسمع حركة الأقدام في الغرفة من جديد ، ولكنها اشد سرعة .

ثم فتح الباب وأغلق بعد نصف دقيقة ، وانبعث صرير المفتاح في القفل .

هبط مون إلى الطنف ، وراح يدب على يديه ورجليه ، حتى بلغ نهايته ..

ثم وثب في خفة إلى سطح الجراج وعبره مسرعاً وتدلى من حافته على الزقاق الذي تحته .

وبعد أن هم بالسير عاد واعتزم البقاء عدة دقائق لمراقبة ما يحدث في البيت .

وكان في ركن الجراج زاوية صغيرة يستطيع أن يراقب منها البيت دون أن يراه أحد فقصد اليها .

كان في وسعه أن يرى من مكنه أكثر غرف المنزل المطلة على ذلك الجانب فلمح شخصاً لم يعرف أرجل هو أم إمرأة ، يظهر في هذه الغرفة .

ثم تلك كأنه يطوف بغرف البيت جميعاً باحثاً مستقصياً . وابتسم مون إذ علم انه المقصود بالبحث والتفتيش ، ووجد في ذلك مدعاة إلى التفكه

والتسلية .

وانقضى وقت طويل دون أن يرى شيئاً جديداً فاعتقد أن ذلك الباحث يطوف بالناحية الأخرى من البيت .

وفيما هو يهم بمغادرة مكمنه والسير في طريقه ، رأى ليون مارتيلي يسير على الرصيف متجهاً نحو مدخل البيت .

ضم مون حاجبيه مفكراً ..

لا ريب أن الشخص الذي رآه يطوف بالبيت لم يكن مارتيلي ، فمن عساه يكون ؟

وقر رأيه على البقاء ليراقب ما يحدث .

بيد أنه لم ينتظر طويلاً ، فقد اندفع مارتيلي بعد دقيقة أو دقيقتين خارجاً من البيت .. وراح يعدو كالمذعور الذي أخرجه الرعب عن صوابه

* * *

وبعد ذلك بنصف ساعة كان مون يطيل النظر مفكراً إلى صورته في المرآة بالغرفة التي كان يتخذ منها قاعة للجلوس ومكتباً .

وكان الوجه الذي يطلعه في المرآة مرحاً متهللا ، يرتفع طرفا حاجبيه إلى أعلى نحو فوديه

وكانت بوبي هيمرز تلاحظه وهي جالسة على مقعد عتيق .. فقالت :

– شدما أحب أن أعرف كيف تغير هيئتك هكذا .

فرد عليها مون :

– هذا من أيسر الأشياء ..

وسار إلى مغسل صغير بركن الغرفة فأخرج من فمه قطعتين من المطاط كانتا لاصقتين بشدقيه ، ورفع من تحت شعره فوق الصدغين مباشرة قطعتين من الشمع بلون اللحم تماماً ، ثم غسل رأسه جيداً وجففه وأخذ يمشط شعره .

قالت بوبي هيمرز :

– ولكن هيئتك برغم هذا كله لا تزال مختلفة اختلافاً واضحاً عما كانت في هذا الصباح .

فخلع حذاءيه ولبس خفين بدلاً منهما وسألها :

– انظري إلى هذا الحذاء ..

قالت :

– انه حذاء عادي .

بيد أنها لم تكد تمعن فيه النظر حتى عدلت قائلة :

– كلا ، انه ليس حذاء عادياً ، كم يزيد في قامتك ؟

– نحو بوصة ونصف ، وهي زيادة تكفل وحدها إحداث التباين المطلم في مظهري .

ثم القى بسترته المبطنة بحشو سميك على أحد المقاعد .

فقالت بوبي :

– ما أشد نحولك !

فضحك مون قائلا :

– انهم يصفونني بأنني عريض المنكبين ، أدنى إلى الطول مني إلى القصر !

ثم فتح دولاباً صغيراً بالجدار ، وملأ قدحين أعطاها أحدهما .

فسألته :

– أتراني أكون ذات فائدة لك ؟

– بل يكونين ذات فائدة لا تقدر ، وسيذهب بك جو غداً إلى بيتك ، وأرجو ألا يغضبك أن أتخذ من الحيطة ما يكفل عدم معرفتك موقع هذا البيت !

فأشعلت سيجارة واجابت :

– انك الزعيم وليس لي غير الاذعان والطاعة .. ما هي أول مهمة تكلها الي ؟

– الحصول على بعض المعلومات وستعرفين غداً ، وأظن انه من المناسب في هذه الظروف أن أعيد اليك عقدك ؟

– لو كان العقد ملكي حقاً لأثرت في أثرك زبانية الجحيم ، ولما تركتك تنعم بلحظة من الهدوء والاستقرار قبل ان استرده منك ، ولكني لا أحفل قط إذا سلبت ذلك العجوز أثمن ما عنده .

– ما شككت لحظة في ان هذا سيكون ردك ، وما عرضت عليك إعادة العقد إلا من باب المجاملة والأدب ، ولكني سأزودك بعقد مقلد تقليداً محكماً حتى لا يزعجوك بالأسئلة .

– شكراً ، ان هذا هو الذي كان يزعجني تماماً ، أما من حيث المكان الذي كنت به هذه الأيام ، فلك ان تطمئن كل الاطمئنان إلى قدرتي على التخلص من هذرهم وفضولهم .

* * *

نظر دونوفان إلى آلة التليفون التي تئز أزيزاً متصلا وهو ساخط متبرم ، لقد كان يمني نفسه بيوم خال من المشاغل والمهام ، ويطمع في نيل قسط من

الراحة والاستجمام !

ثم تنهد في تعب و كلال ، ورفع السماعة من مكانها .

وإذا بمحدثه يقول :

– مستر دونوفان ؟ دقيقة واحدة من فضلك .

وبعد قليل استأنف المتحدث كلامه قائلاً :

– أنا رنزو هيمرز .. تعال إلى بيتي حالاً . لقد اختفت مسز هيمرز .

وأسرع دونوفان بارتداء ملابسه والذهاب إلى بيت هيمرز .

فألفاه في انتظاره بغرفة المكتبة ، وليس في وجهه ظل من التأثر أو القلق .

ولكن كانت في صوته رنة الراحة ، عندما استقبل البوليس السري قائلاً :

– يسرني تعجلك بالحضور ، اجلس وسأخبرك بما حدث ، بقدر ما يصل اليه علمي على الأقل .

فجلس دونوفان قائلاً :

– هل انقضى على خروج مسز هيمرز وقت طويل ؟

– لقد خرجت عقب الظهر لابتياع بعض الأشياء ، وتركها توني سائق سيارتي عند أحد المتاجر ، بعد أن طلبت اليه ألا يعود اليها لأنها ذاهبة إلى السينما ، بعد فراغها من مهمتها بالمتجر ، وهذا آخر ما نعرفه من أمرها .

– ومتى كان ينتظر أن تعود ؟

– قبيل المساء .. وأهم ما يستوقف النظر في الموضوع أنها كانت تحمل سواريها الثمينين اللذين تعرفهما ، ولما بلغت الساعة العاشرة دون أن تعود ، سألت وصيفتها إيفا هل تعرف مكاناً يمكن أن تكون قد

ذهبت اليه ؟ فأخبرتني أنها لا تعرف شيئاً ، فهل تحب أن تسأل الوصيفة بنفسك ؟

قال دونوفان بهدوء :

– إذا سمحت بذلك

ولا ريب أن إيفا كانت على استعداد بالغرفة المجاورة ..

إذ أقبلت ، وفي الحال ، وعلى شفتيها ابتسامة تشف عن الفوز ، كأنها تقول :

« قد نصحتها فلم تنتصح ! » .

وأتى بعدها السائق توني ، وهو أسمر البشرة ، مفتول الساعدين ، أقرب في هيئته إلى الحراس والخفراء منه إلى سائقي السيارات .

وبعد أن روى كيف ذهب بمس هيمرز إلى المتجر ..

سأله دونوفان :

– أتعرف أين يمكن أن تكون قد ذهبت بعد ذلك ؟

فتردد السائق لحظة .

ثم أجاب :

– نعم يا سيدي .

ونظر اليه الرجلان في دهشة وسألاه بصوت واحد :

– أين ؟.

وأطرق توني لحظة ..

ثم قال :

– لقد داخلني الشك في أمر مس هيمرز ، مرة أو مرتين ، إذ كانت تخرج بعد ظهر كل يوم تقريباً بدعوى شراء بعض الحاجيات ، دون أن تبتاع شيئاً ، وكان طبيعياً أن يثير هذا شكوكي .

فزجره دونوفان قائلاً :

- دعنا من ملاحظاتك الشخصية ، وأوجز في هذا الحديث الذي أعددته سلفاً ، هل اقتفيت خطواتها ؟

فحدجه السائق في حقد وقال :

- لقد أبحث ذلك لنفسي، يا سيدي .

وسأله هيمرز ·

- وإلى اين كانت تذهب

- كانت تذهب عادة إلى حانة « البجعة الحمراء » .

فنظر دونوفان خلسة إلى وجه روتزو هيمرز ، فوجده جامداً لا تنم أساريره على شيء مما يعتلج في نفسه من الانفعالات .

وقال هيمرز :

- استمر يا توني ، أظنها كانت تلاقي هناك شخصاً ما ؟

- نعم يا مستر هيمرز .

- أتعرف من هو ؟

- انه راقص محترف يدعى ليون مارتيلي .

وتصفح دونوفان دليل التليفون حتى اهتدى إلى رقم الحانة ، وقال عندما تم اتصاله بها :

- أريد محادثة ليون مارتيلي .

فأجابه صوت نسائي فاتر :

- انه غير موجود الآن .

- هل يمكنك إعطائي رقم تليفون منزله ؟

- إني آسفة لعدم معرفتنا إياه ..

فوضع دونوفان السماعة .

ثم قال :

– اني أفضل الذهاب إلى تلك الحـــانة ومقابلة مديرهـا .. فاني أعرفه .

* * *

واستقلوا السيارة الى الحانة دون ان ينبس أحـدهم بكلمة أثنـاء الطريق .

وكان مدير الحانة شديد الرغبة في المساعدة ، ولكن معلوماته كانت قليلة ومحدودة ..

فهو لا يكاد يعرف عن ليون مـــارتيلي أكثر من أنه راقص بارع بفتن النساء ..

وها هو عنوانه ، ورقم تليفونه إذا كانت فيهما فائدة .

واتصل دونوفـان بالعنوان وسأل المرأة ، التي ردت عليـه في شيء من التذمر أنه يريد محادثة المستر مارتيلي ..

فأجابته :

– أنه جاء حوالي الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم ، وأخذ حقيبته وغادر البيت قائلاً انه لا يعرف متى يعود .

وقال مدير الحانة :

– ليس هنا سوى شخص واحد يعرف عنه شيئاً .

ثم رفع سماعة إحدى آلات التليفون الخاصة بأقسام الحانة وقال :

– أرسلي الي فلو !

فسأله دونوفان :

– ومن تكون فلو هذه ؟

– إنها إحدى الراقصات ، وهي صديقة مارتيلي ، أو كانت كذلك ، ولقد عاملها في نذالة أوغرت صدرها وأحفظها عليه ، وإذ كانت تعرف عنه شيئاً فستفضه اليك في الحال .

وما هي إلا بضع دقائق حتى أتت الفتاة في ثياب الرقص .

فقال المدير :

– مس ستار .. هذان هما مستر دونوفان ، والمستر هيمرز .. والمستر دونوفان بوليس سري ، وكنه صديقي ، فأرجو أن تقدمي اليه كل مساعدة ممكنة .

أجابت الفتاة وهي ترفع شعرها المتهدل ·

– إني طوع أمرهما .

وراحت تجيل بصرها في الرجلين ..

فسألها دونوفان :

– هل تعرفين رجلاً يدعى ليون مارتيلي ؟

فحدجته ببصرها وقالت :

– سمعت به .

ثم حولت بصرها إلى رتزو هيمرز وسألته :

– أتحاول استمادتها أم ماذا ؟

أجاب هيمرز :

– لا أفهم معنى لما تقولين .

فنظرت اليه الفتاة ساخرة . ثم قالت وهي توليهما ظهرها :

– معذرة أيها السيدان ، فاني مضطرة إلى العودة إلى المرقص .

فقبض دونوفان على ساعدها وهي تهم بادارة مقبض الباب .

ثم قال لها :

– إن الأمر جد لا عبث فيها يا مس ستار .

– لماذا لا تستدعيان شرطياً لسؤالي إذن ؟
ثم أشعلت سيجارة واستدارت الى هيمرز وسألته :
– الست زوج دوروثي هيمرز ؟
فقال هيمرز في غيظ:
– نعم .
فقالت وهي تنفث دخان سيجارتها في وجهه :
– لا عجب إذن ان تبحث عنها ، فقد حان لك ان تفطن إلى ما يدور بينهما ، انك البقرة الحلوب التي تدر ثمن الهدايا الثمينة التي تقدمها ، وتدفع أجر ذلك العش الصغير الهنيء ، وتبتاع تلك البيجامات وثيـاب النوم الأنيقة الفاخرة .

دوت الصفعة على خد الراقصة في سرعة البرق الخاطف .
وبعد ثانية واحدة كان هيمرز واقفاً في مكانه كالتمثـــال ، وقد لاذت فلورنس ستار في نهاية الغرفة وهي تحك خدها بيدها .
وسرعان ما تمالكت روعها وصاحت كالنمرة الهائجة :
– لا ألومها على ما فعلت أيها الوغد القذر !
فقال المدير معتذراً :

– إني آسف إذا ..
وهتف هيمرز مغضباً
– قل لها تلزم الأدب ..
أما دونوفان فسار إلى الراقصة في تؤدة وهدوء ، ووضع يده على كتفهـا ملاطفاً وقال :
– ليس الأمر كما تظنين أيتها الحبيبة ، ولا نطلب إلا الوقوف على بعض المعلومات فعسى ألا تخيبي رجائي .

فأجابت وهي ترمق هيمرز بنظرات يتطاير منها الشرر :

- إني لا أخيب قط رجاء شهم كريم ، وقد تكون أنت شهماً كريماً . ماذا تريد ؟

- أتعرفين أين كانت مسز هيمرز تجتمع بارتيلي هذا ؟

فضحكت الفتاة ضحكة جافة وأجابت :

- أعرف ؟ أتخالني ضريرة ، أم مقعدة ؟ لقد اقتفيت أثره مراراً ..

- هل تتفضلين إذاً بارشادي إلى ذلك المكان ؟

- سأفعل هذا مرضاة لك ، وليس من أجل ابن أي كلبة .. متى تريد الذهاب ؟

- الآن أيتها الحبيبة ، فان الأمر هام جداً .

- أفي عجلة أنت ؟ حسناً . سأرتدي معطفي واقابلك عند مدخل الحانة ..

لم يتبادلوا كلمة واحدة حتى بلغوا البيت .

وراحوا يقرعون الجرس بشدة ، فاستيقظت صاحبة البيت من نومها ساخطة محنقة ..

فأخبرتهم أنها رأت السيدة الشقراء التي يصفونها بعد الظهر ، وهي تدعو نفسها مس فورد ، وقد جاءت في الساعة الثالثة إلا ربعاً ، ولكنها لا تعرف متى انصرفت ، إذ أنه ليس من عادتها الاهتمام بأحوال السكان الشخصية ، ولهم جميعاً أن يذهبوا إلى الغرفة إذا شاءوا .

وتقدمتهم على السلم ، ثم عبرت الردهة وفتحت باب الغرفة وهي لا تخفي استياءها من إيقاظها من النوم ..

وقال دونوفان :

- سأدخل أولاً ..

ولم يكن يعرف ما قد يطالعه بتلك الغرفة ، ولكنه أراد أن يسبق

هيمرز .. ووقف عند الباب يتحسس مكان الزر الكهربائي ..

فلم يكد يضغط عليه حتى أرسلت فلورنس ستار صرخة مدوية ، فالتفت اليها قبل أن ينظر في الغرفة ، وكان وجهها ممتقعاً تعلوه صفرة الموتى برغم ما يكسوه من الأصباغ ..

وأمسك دونوفان عن التنفس ، ونظر إلى حيث أشارت الفتاة ، وبعد لحظة ارتد ببصره إلى رونزو هيمرز قائلاً

– أرى ألا مناص الآن من استدعاء رجال البوليس فإن مسز هيمرز ميتة .

الفصل الثالث

كانت جثة دوروثي هيمرز مستلقية على المقعد في وضع يوهم الرائي بأنها تنبض بالحياة وإنما أخذتها سنة من النوم .

ولكن ، حبلاً حريريـاً كان مشدوداً بقـوة وحشية ، حـول عنقها ..

فلما استدار دونوفان إلى الواقفين بالباب ، كانت الراقصة فلورنس ستار أول من استرعى انتباهه ، إذا جمدت في مكانها ، واتسعت حدقتها رعباً وهولاً ، واستقر بصرها الزائغ على دونوفان ، فصاحت في صوت أشبـه بالنحيب :

– لقد قتلها ! ما خطر ببالي قط انه يفعل هذا !

وشخصت اليها أبصار الجميع وهم يجدون شيئاً من الراحة في الانصراف عن منظر الجثة لحظة أو بضع لحظات .

وسألها دونوفان .

– من الذي تعنيه بقولك انه قتلها ؟ مارتيلي !

وكأن هذه العبارة نبهتها من دهشتها وذهولها ، فنظرت اليه بازدراء قائـلة :

– كلا ! إنها كانت له مورداً من المال لا ينضب ، فمحال أن

يقتلها !.

– من الذي تعنين إذن ؟

ولكنها أدركت انها جارت عن القصد في الكلام فهزت كتفيها وأشاحت عنه بوجهها ولاذت بالصمت .

ونظر اليها البوليس السري مليـــاً ، فأيقن انه لن يستطيع أن ينتزع منها كلمة أخرى ، فالتفت إلى الجثة ، ثم انثنى إلى روتزو هيمرز قائلاً :

– إني آسف يا هيمرز .

ولكن المالي الكبير قاطعه قائلاً :

– إمض في عملك حتى تنتهي منه .

كان دونوفان يريد ، قبل كل شيء ، أن يعرف كيف ارتكبت الجريمـة . .

فوقف هنيهة يحدق في المرآة مفكراً . .

لقد خنقت القتيلة بلا ريب بذلك الحبل الحريري الذي انتزع من ثوب حمام وهي جالسة في مقعدها .

وقال في هدوء :

– لا تمسوا شيئاً . .

حبل من ثوب حمام ! أين الثوب إذن ؟

وتلفت حوله باحثاً فرآه معلقاً بجانب السرير،وهو ثوب أزرق زاه يدل على ولع مارتيلي بالألوان القوية الصارخة .

وقطع عليه تأملاته فجأة صوت هيمرز وهو يقول :

– والسواران يا دونوفان . . هل ضاعا ؟

– سنرى . .

أين حافظة نقود القتيلة ؟ لعلها ضاعت كما ضاع السواران ولكن لا . فها

هي ملفاة على الأرض بجانب المقعد . وتناولها دونوفان ففتحها وراح يتحسس ما بداخلها .

ثم قال

– كلا ليس السواران هنا . ولكن ربما كانت مسز هيمرز قد تركتهما عند الجوهري كما كانت تنوي ؟

قال هيمرز :

– إني أشك في ذلك كثيراً

كان هذا هو رأي دونوفان ايضاً وإن لم يصرح به ، وقال :

– إذا صح هذا فإن .

لكنه لم يتم عبارته بل هتف فجأة :

– الفتاة . أين هي ؟

لقد اختفت الراقصة فلورنس ستار .

وأسرعوا جميعاً إلى الردهة ولكنهم وجدوها خالية .

واتصل دونوفان من هناك بادارة البوليس تليفونياً وأدلى اليهم بتفاصيل الجريمة في سرعة وايجاز .

وأضاف اليهم وصفاً دقيقاً للراقصة التي اختفت فجأة على هذا النحو العجيب .

وعندما عاد بعد ذلك إلى غرفة الجريمة قال هيمرز فجأة :

– والصحف . .

فهز دونوفان رأسه أسفاً وأجاب :

– ليس في وسعك كتمان مثل هذا الحادث الخطير عن الصحف ، ولا مناص لك من تجشم شيء من الألم .

وتذكر إذ ذاك أمراً فاته فأسرع إلى التليفون ثانية ، واتصل بالصحفي الشاب توم كلارك وقال :

– توم ؟ لقد قتلت دورثي هيمرز ٤٤٧ شارع الكتون ، رجال البوليس في طريقهم الينا .

لقد بذل للصحفي الشاب وعداً ولا يحمل به خلف الوعد . ثم ان الحادث سيبلغ الصحف على كل حال .

ولما عاد إلى الغرفة ، كان روتزو هيمرز لا يزال واقفاً كالتمثال ، الذي لا حس به ولا حراك ، وهو شاخص إلى القتيلة فيما يشبه الحيرة والارتباك .

قال :

– ليس ثمة من شك في أن صاحب هذه الجريمة هو . ذاك الرجل المجهول .

فلم يجب دونوفان ، بل راح يتنقل في الغرفة باحثاً منقباً وهو لا يكاد يرجو العثور على شيء .

وانه لفي هذا البحث الدائب إذ دوت في الشارع أبواق سيارات البوليس، وتلتها حركة أقدام تصعد السلم .

ثم اندفع إلى الغرفة في وقت واحد توم كلارك والمفتش جاريتي من إدارة المباحث الجنائية .

ولم يستغرق إطلاعهما على تفاصيل الجريمة ، أكثر من دقيقة أو دقيقتين ، فقد كانت آثارها قائمة بين أيديهما ، تغني عن كل شرح وبيان .

ثم ذهبوا إلى صاحبة البيت ، فأدلت اليهم بوصف الشاب الذي كان يشغل الغرفة المجاورة لغرفة الجريمة ، وقد استأجرها منذ أسبوع وتركها اليوم .

وراحت تؤكد لهم انه ليس من طبعها التطفل والفضول ..

ولكنها مع ذلك ، لاحظت شيئاً من الغرابة في أحوال ذلك الساكن

إذ لم يكن يمضي بغرفته سوى أوقات قصيرة جداً ، ولم يبت بها ليلة واحدة .

أجل .. انه أشقر ، وله وجه مستدير يبعث على الضحك ، وحاجبان عجيبان ينثني طرفهما إلى أعلى . وهو أدنى إلى الطول منه إلى القصر ، عريض المنكبين .

وقد غادر الغرفة اليوم وترك لها رقعة يقول فيها انه لم يعد في حاجة اليها ، ولا تزال الرقعة عندها فيما تظن .

وبعد بحث طويل في مختلف الأدراج والدواليب والرفوف والسلال عثرت على الرقعة .

ولم يكن ثمة مجال للشك في شخصية صاحب ذلك الخط الواضح الماثل ، فهو الرجل الذي يوقع بالحرف « ن » .

لم يخالج دونوفان اي ريب في ذلك ، ولم يخالجه أي ريب في أن السوارين الآن في حوزة ذلك الرجل الغامض .

ولكن القتل !.

إن المنطق والغريزة لا يغنيان شيئاً في استجلاء الحقيقة في هذا الأمر الغريب ، ودونوفان لا يستطيع إقناع نفسه بأن هذا الرجل الذي لا يسرق إلا ليعيد الأموال المغتصبة الى أصحابها سفاح أثيم ، ولكنه أمام أدلة مادية لا سبيل إلى تأويلها والمماراة فيها .

ونهض المفتش جاريتي قائلاً :

– في وسعنا الآن أن نعرف على وجه الحدس والتخمين على الأقل ، من هو القاتل .

ألا ما أشد ما يبوء به دونوفان من الخيبة المريرة والأسف الممض ، إذا ثبت أن المجرم الذي يوقع بالحروف « ن » ليس إلا شقياً من عامة الأشقياء

الذين يرتكبون جرائم الخطف والاغتيال ..

* * *

أضاء دونوفان مصباحاً آخر وهو يمد ساقيه في تعب وكلال ، وطلب إلى المفتش جاريتي وتوم كلارك أن يستريحا .

ثم هتف منادياً :

– مادلين !

فلما أقبلت الخادم العجوز قال لها :

– الينا بالويسكي والصودا وكمية كبيرة من السندوتش .

ولم يشيروا إلى مصرع دوروثي هيمرز بكلمة ، حتى إزدردوا بضع كؤوس من الويسكي .. والتهموا كل ما جاءت به الخادم من الشطائر .

ثم نظر المفتش جاريتي إلى دونوفان والصحفي الشاب .

ثم قال :

– لست أدري ما الذي يتعسر عليكما فهمه في هذه القضية وهي واضحة لا غموض فيها ولا التواء ، إن « ن » هو صاحب هذه الجريمة دون سواه ، فقد كان هيمرز هو الرأس المدبر لتلك الكارثة التي هزت السوق المالية هزة عنيفة وجرت الخراب والدمار على كثير من المستثمرين . فمن الطبيعي أن يكون هذا الرجل المجهول أشد حقداً على هيمرز دون بقية شركائه .. وهو لهذا السبب لا يجد ما يشفي غليله في سرقة هيمرز ، بل يخطف ابنته أولاً ..

ثم يقتل زوجته أيضاً .

فقال دونوفان في كلال :

– هذا منطق مستقيم ، ولكن لماذا لم يقتل هيمرز نفسه بدلاً من البطش بامرأتين بريئتين ؟

أجاب مفتش المباحث في شيء من الزهو والخيلاء :

– هنا يتجلى مكره الشيطاني يا دونوفان . انه لا يكفيه أن يرى هيمرز جثة هـامدة ، بل يريد أن يراه فريسة للحزن والشقاء ، وهو على قيد الحياة .

ولم يقل دونوفان شيئاً ، بل أشعل غليونه في تمهل وراح يلحظ صديقه القديم .

واستطرد المفتش جاريتي قائلا :

– إن القرائن كلها تتجه إلى اتهامه ، فنحن نعلم انه استأجر الغرفة المجاورة للغرفة التي وقعت بها الجريمة .

ونعلم انه كان هناك بعد الظهر ، ونعرف كذلك انه انذر هيمرز بسرقة السوارين وقد فقدا فعلا :

فقال دونوفان :

– أجل ، ان جميع الدلائل تؤيد هذا الرأي ، ولم يبق عليكم الآن إلا أن تهتدوا اليه وتقبضوا عليه .

قال المفتش :

– سنهتدي اليه بلا ريب ، فان لدينا أوصافه كاملة ، ولا يمكن أن يكون في نيويورك بأسرها رجلان تنطبق عليهما هذه الأوصاف .

فقال دونوفان في هدوء :

– أتمنى لك كل توفيق .

وازدرد المفتش جاريتي كأسه ، ثم أخذ قبعته ، وسار نحو الباب

قائــلاً :

– لكنا أن تقضيا الليل كله إذا شئتما في النقاش والجدل حول هـــذه القضية ، أما أنا فواثق من أني أعرف حقيقة ما حدث ، وسآوي إلى فراشي مطمئناً ناعم البال .

ونهض توم كلارك بعد انصرافه فتمطى وتثاءب ، ثم ملأ كأساً جديدة وقال :

– أتتعاون في هذا الحادث مع رجال البوليس ، أم تعتزم العمل مستقلاً ؟

فتنهد دونوفان وقال :

– لا أدري .

وجلس الصحفي الشاب قائلاً :

– إن في هذه الجريمة كثيراً من الأمور التي نجهلها . فأولاً من هو الرجـل الذي يوقع بالحرف « ن » ؟

أجاب دونوفان وقال في كلال :

– هذا ما أحاول معرفته منذ وقت بعيد .

وكان توم كلارك يعد أسئلته على أصابعه الطويلة فقال :

– وأين يكون الآن عشيق دوروثي هيمرز ؟ وما الذي حمله على الفرار عقب مصرعها .

فأجاب دونوفان :

– إن لك ما لي من المقدرة على الحدس والتخمـــين ، وحبذا لو تفضلت بالجواب مع السؤال !

– إن رأيي هو أن ذلك الرجل لم يقتـــل عشيقته ، وأنا خبير بهذا الصنف من الرجال ، فهم يسرقون ويستغلون ويبتزون ولكنهم لا يقترفون جرائم القتل

وصمت الرجلان قليلاً ثم أردف توم كلارك :

– إن صورة الغرفة التي حدثت بها الجريمة ينقصها شيء لكي تتلاءم أجزاؤها ، وإني لأعرف النقص وإن كنت عاجزاً عن تعليله . هل نظرت جيداً في وجه القتيلة ؟

ففتح دونوفان فمه وأطبقه دون أن يقول شيئاً . لقد أصاب الفتى ما كان يشغله ويحيره .

لقد شعر كذلك أن بالصورة نقصاً ، ولكنه يعرف الآن ما الذي ينقصها .

لقد رأى قبل ذلك كثيرين ممن ماتوا خنقاً ، ولا يزال منظر أعينهم ماثلا في خاطره، واضحاً أتم الوضوح ، لقد كانت عيونهم جميعاً محملقة جاحظة تكاد تبرز من محاجرها .

وقال في تؤدة :

– أصبت .. إن عينيها كانتا مغمضتين ، في شكل طبيعي هادىء ، كأنها مستغرقة في سبات عميق .. وهذا أمر مستحيل .. ولكنه الواقع !

* * *

جلس جون مون على صندوق خشبي في غرفة صغيرة بقبو بيته ، وهي غرفة مجهزة كمصنع صغير بسيط ، وفي نهايتها « بنك » خشبي كبير وقف أمامه رجل ضئيل الجسم أعرج تجاوز طور الكهولة ، وقد اشتعل رأسه شيباً ، وتغضن وجهه غضوناً عميقة ، بيد ان أصابعه كانت قوية سريعة الحركة ، وقد أمسك بها ماسة ثمينة وراح يقلبها تحت ضوء مصباح قوى

يتدلى من السقف ..

وقال جون مون :

– انه لمن العار تكسير السوارين ، ولكن ليس أمامنا من ذلك بد فيما أعتقد .

فأومأ الجوهري النحيف برأسه قائلا :

– سأخبرك في صباح الغد كم تستطيع الحصول عليه ثمناً للاحجار ، فإنها نفيسة جداً .

راح جون مون يلاحظ الشيخ في صمت من وقت إلى آخر في غير اكتراث ، مع انه كان يحوي تسعة من أثمن أحجار الزمرد التي في العالم بأسره ..

ونظر اليه ماركوس ، الجوهري الأعرج ، وعلى فمه ابتسامة شيطانية وقال :

– إنك غير مغرم بالأحجار الكريمة !

أجاب جون مون :

– كلا .. أرني العقد .

فناوله ماركوس القطعة التي يعمل فيها ، وكانت لم تتم بعد . ولكن معظم الأحجار المقلدة ركبت في مواضعها .. وتأملها الشاب مليا في الضوء الساطع ، ثم أخرج أحد أحجار الزمرد من الصندوق الصغير وأخذ يقارن بينه وبين العقد ..

وقال وهو يعيد العقد إلى الجوهري الأعرج :

– انه تقليد محكم يقوم مقام الأصل ، وهو يبدو حقيقيا لغير الناقد الخبير ..

فأجاب ماركوس غاضبا :

– ليس في العالم كله سوى ستة خبراء يستطيعون اكتشاف حقيقة

هذا العقد .

أجاب الشاب مبتسما :

- عفواً ، قد نسيت انك من العباقرة الأفذاذ ..

واقتصر جون مون على ملاحظة ذلك الأعرج وهو يتمم مهمته ، وقد كان ماركوس في وقت من الأوقات من أشهر تجار الجوهرات في لندن ، ولكنه اتهم ظلما في إحدى الفضائح الكبرى وكاد يحكم عليه بالسجن ، فأنقذه جون مون وجاء به إلى نيويورك .

وهو الآن يعمل مع الشاب ويجود بحياته في سبيله اذا طلب اليه ذلك عن طيب خاطر .

وسأله جون مون :

- متى تفرغ من العقد ؟

أجاب الشيخ :

بعد بضع دقائق ، وسأصعد به اليك .

نتركه جون مون وصعد إلى الطابق الأعلى ، ثم وقف أمام غرفة بوبي . وكان الباب مفتوحا والفتاة واقفة بجانب المنضدة مربدة الوجه بادية الانفعال .

وما كادت تراه حتى هتفت :

- ما كنت أعلم ان القتل من خططك !

فحملق فيها هنيهة ثم دخل الغرفة قائلا :

- القتل ؟

ورمت الفتاة في وجهه باحدى الصحف دون ان تجيب .

فألقى نظرة سريعة على العنوانات ، ثم استند على الباب وأخذ يقرأ ما تحتها :

« وجدت مسز روز هيمز زوجة المالي المعروف مقتولة » .

ولم تذكر الصحيفة شيئا عن الرجـــل الذي يوقع بالحرف « ن » ولا عن السرقات السابقة واختفاء بوبي هيمرز بل قالت :

« وقد فقد سواران ثمينان من الماس كانا مع القتيلة ، ويعتقد رجـــال البوليس انها استدرجت إلى ذلك البيت بوسيلة ما حيث قتلت وسرقت ».

وابتسم جون مون ابتسامة ساخرة .

ثم مضى في القراءة :

« ويبحث البوليس عن ليون مارتيلي صديق القتيلة ، وفلورنس ستار الراقصة بحانة « النجمة الحمراء » لسؤالها فيما يتصل بالجريمة . »

نظر مون الى بوبي ، فرأى شفتيها تتحركان بكلمة « قاتل » دون أن تنطق بها ..

واستطاعت أن تقول بعد لأي :

– لقد كنت أمقتها ، ويسرني موتها ، ولكن ..

وخطا جون نحوها..

فهتفت في ذعر :

– لا تقترب مني !

فقال متجهماً :

– يحزنني أن تفهمي الأمر على هذا الوجه .

واستدار لينصرف ..

لكنه وقف عند الباب قائلا :

– سأضع الترتيب اللازم لاعادتك إلى بيتك بمجرد الانتهاء من العقد .

وقصد إلى مكتبه كاسف البال ، إذ كان يعتقد أنها أصدق من هـذا نظراً .

وجلس في مقعده لحظـة عابس الوجـه منقبض الأسارير ، فما كانت مشكلة بوبي هيمرز هي التي وحدها تثقل فكره .

ان الصحف تتعمد الآن إغفـــال الاشارة إلى الرجل الذي يرمز إلى نفسه بالحرف « ن » بوحي من رجال البوليس ، لأنهم يعتقدون انـه القاتل ..

ولم تمض أكثر من خمس دقائق حتى أقبلت بوبي هيمرز وقالت في صوت هادىء ، وإن لم يذهب امتقاع وجهها :

فتفرس فيها مون طويلا ..

ثم سألها :

– أفهم من هذا أنك عدلت عن الاستقالة من عملك الجديد ؟

– نعم . ما كنت لأتخلى عنك ، ولاسيا في الوقت الحاضر الذي قـد تحتاج فيه إلى كل مساعدة ممكنة .

– يا لك من فتاة كريمة .

– ولكن لماذا جازفت بقتلها ؟

فنظر إلى وجهها الممتقع وعينيها المضطربتين وقال :

– أتعتقدين انني قتلتها وترغبين رغم ذلك في الاستمرار معي ؟

أجابت في هدوء :

– ولم لا ؟ انني واثقة بك ، ولا ريب أنـه كان لديك من البواعث القوية ما يبرر ما فعلت .

وضمها بين ذراعيه وقبلها في حرارة وهي متعلقة به ، ثم ابتعد عنهـــا فجأة وهو يقول :

– عفواً ، فما كان هذا في الصفقة التي عقدناها ، ولكني لم استطع مغالبة شعور فجائي طغى علي .

وأشعل سيجارة ووقف ينظر من النـافذة بضع دقـائق ، ثم عـاد إلى الكلام قائلا :

– ولكني لم اقتلها يا بوبي

وانثنى اليها فرأى في وجهها امارات الدهش والعجب ، خالصة من كل ما ينم على الشك والريب .

وراح يقص عليها كل ما حدث في اليوم السابق وهي مصغيـــة اليه كل الاصغاء .

وقالت عندما انتهى من كلامه :

– ان مارتيلي هو القاتل بلا ريب .

– ربما كان الأمر كذلك ، ولكن كان من السهل ان ينسل مئات من الناس الى ذلك البيت بعد ان غادرته دون ان يراهم أحد .

– ولكن من كان يفكر في قتلها ؟ نعم ان كثيرين كانوا يتمنون موتها ، ولكن من كان يعرف بوجودها في ذلك البيت ؟

– انني كنت اعرف ذلك ، فمن السهل ان يعرف سواي ايضاً .

فأطرقت الفتاة لحظة ..

ثم قالت :

– نعم ، لا ريب ان هناك من وقف على سرها ، فإني لارى الآن بعد امعان الفكر ان مارتيلي لا يمكن ان يكون قاتلها .

– امضي في تفكيرك فانك على صواب .

– ما كان ليفعل ذلك بحال من الأحوال ، وقد كانت له بمثابة معين لا ينضب من المال .. وفضلا عن ذلك ، فانه لم يكن الشخص الذي رأيته من الخارج يطوف بغرف البيت مفتشاً ، اذ انك ابصرت مارتيلي يدخل البيت بعد ذلك ، وقد رأيته يغادره بعد لحظة وهو يكاد يجن رعباً ، فلا ريب انه عند دخوله وجدها ميتة ؟

– هذه استنتاجات رائعة ويغلب على ظني انها صحيحة كان من الطبيعي ان تذهب نفسه شعاعاً حين يراها جثة هامدة على غير انتظار وقد ضاع السواران .

ولا ريب انه اختفى خوفاً من أن يتهم بقتلها فليس ثمة أي تعليل آخر لاختفائه .

– ليس أمامي غير طريقة واحدة لاثبات براءتي من هذه الجريمة المنكرة هي أن أجد القاتل دون أن أظهر شخصيتي ، أما أنت ..

وكف عن الكلام ، وتقدم نحو الباب هاتفاً :

– جو !

وعاد قائلاً :

– لا أشك أنك ستعجبين بجو .. وقد كان قبل أن التقي به مصارعاً محترفاً ، فمهرباً للخمور ، فلصاً على التوالي ، وهو ليس بالوسيم الهيئة ، ولكنه أخلق الناس بالثقة والاطمئنان .

وسرعان ما أقبل جو ..

وهو عملاق ضخم ، بشوش الوجه ، له أنف مكسور ، ، وعينان لامعتان زرقاوان .

وقال له مون :

– ستأخذ هذه الآنسة إلى بيتها يا جو ، فعليك أن تتم هذه المهمة دون أن تمكنها من معرفة منظر هذا البيت من الخارج ، ولا موقعه ، وليس هذا لأنني لا أثق بها ، بل حرصاً على سلامتها ، ونأياً بها عن مواطن الخطر .

قالت بوبي :

– إنك الزعيم والرأي رأيك

فقال جو :

- إعتمد علي في ذلك .

وبعد انصرافه قال مون :

– سأطلعك على ما أريد منك القيام به وستتلقين تعليماتي .. والآن هيا

بنا ننزل لتأخذي عقدك ..

* * *

كان جو المصارع المحترف السابق جاثماً على حافة المنضدة بغرفـــة نوم مون ، وعلى وجهه الدميم ابتسامة ماكرة .

وقال في خبث :

– إنها ستخلق منك شخصاً جديداً ..

ونظر مون في نفور واشمئزاز إلى لفافة صغيرة كان يقلبها بين يديه وقال في أسف :

– هذا هو المقصود .

فقال مون :

– ويمكن إزالتها بسهولة .

وأخذ مون يمزق طرف اللفافة .

فقال جو :

– يجب أن تبل شعرك أولاً طبقاً للتعليمات .

فغمس الشاب رأسه في اناء للغسيل ، ثم أفرغ محتويات اللفافة في الاناء ، وقلبه قليلاً وغمس رأسه فيه ثانية .

فلما رفع رأسه ..

كان شعره الذهبي قد صار أحمر داكناً ..

وقال جو :

– حسن ، ولكن يجب أن تصبغ حاجبيك أيضاً .

– وكيف يمكن ذلك بحق الشيطان ؟

ـ بواسطة فرشاة أسنان ، وسأتولى صبغها .

ولما فرغ من ذلك ، أخرج الشاب قطعتين رقيقتين من المطاط دسهما في فمه ، فتبدل شكل وجهه تماماً إذ صار مستديراً قصيراً ..

وتمت الصورة ، حين وضع على عينيه نظارة ذات عدستين كبيرتين مستديرتين ..

ونظر في المرآة فرأى شاباً أسمر الشعر ، مستدير الوجه ذا عينين نجلاوين بريئتين وعليه مظاهر السذاجة ، حتى ليخاله المرء طالباً أو استاذاً مساعداً باحدى الجامعات .

ووضع بجيبه الامامي عدة أقلام رصاص ، وقلم حبر كبير الحجم وتأبط دفتر مذكرات ..

فلم تعد الصورة في حاجة إلى شيء من الصقل أو التهذيب .

* * *

كان الشرطي أوميرا يشعر بالضيق والضجر إذ تركوه في الحراسة وحده بلا عمل يشغله في وقفته .

ومد بصره في جد واهتمام ، إذ رأى رجلاً صغير الجسم ، منحني المنكبين يسير في الردهة في تردد وإحجام .

وهتف الشرطي :

ـ أين تظن نفسك يا صاح ؟

فوثب الرجل الصغير كالأرنب المذعور وقال :

ـ أوه ! شدما افزعتني إذ لم أرك ؟

وحدجه أوميرا بنظرة فاحصة ثم قال في برود :

— حسناً ماذا تريد ؟

أجاب الرجل في استخذاء :

— عفواً .. ولكن .. اليس هـذا هو المكان الذي قتلت فيه مسز هيمرز ؟

فأومأ الشرطي برأسه قائلاً :

— نعم .. في تلك الغرفة عينها ، ولكن ما أنت وذاك ؟

فسعل الرجل معتذراً وقال :

— إن دراسة الجرائم احدى هواياتي ، فاذا ما حدثت جريمة من الجرائم ، جمعت كل ما تكتبه عنها الصحف ، وعكفت على فحصه وتمحيصه حتى استجلي سرها واكشف غامضها ، ثم أقارن بين ما أصل اليه من النتائج وبين ما تكشف عنه جهود رجال البوليس فيما بعد ، وانه ليدهشك أن تعرف مدى ما أصابت في أكثر الأحوال من التوفيق والنجاح .

— لا ريب أن ذلك سيدهشني حقاً !

وتطوع الرجل الصغير بتقديم نفسه قائلا :

— إن إسمي البرت بونس ..

فتثاءب أوميرا وقال :

— حسناً يا مستر بونس ، اني آذن لك باستجماع جميع قصاصات الصحف واجهاد قريحتك في التفكير في هذه الجريمة ، ولكن في وسعي أن أعفيك من هذا الجهد الشاق ، فاننا نعرف القاتل ونبحث عنه .

قال المستر البرت بونس متأسفاً :

— ولكن ألا يمكن أن يكون ثمة شيء من الخطأ ؟

— هذا محال ، فقد حفظت أوصافه هذا الصباح وأرجو أن أكون أول من يلتقي به .

— لا أخال انني أستطيع القاء نظرة على الغرفة ؟

- كلا ، فان لدي أوامر صارمة بمنع أي إنسان من الاقتراب منهـــا ، فانصرف لشأنك .

فـانصرف الرجل الصغير كاسف البال والشرطي يشعر بشيء من الرثاء لهذا الطفل الكبير .

بيد أنه لم يكد يغيب عن بصره حتى شعر أوميرا فجأة بثقـــل في أجفانه وفتور في أعضائه وميل شديد الى النوم ، فقعد في مقعده وهو يحسب أن ما به من تأثير شدة الحر ..

وسرعان ما استغرق في سبات عميق ، فلم يسمع ما انبعث من الأصوات في الغرفة التي خلفه .

ولقد عينه رؤساؤه لحراسة البيت بمفرده ، وقد غفلوا عن وجود سور عريض يدور حول البناء من الخارج ..

وان المسافة التي بينه وبين سطح الجراح المجاور للمنزل قصيرة يسهل قفزها على شاب رياضي خفيف الحركة .

ولما أفاق الشرطي أوميرا ، بعد ذلك مرتاعاً من تهاونه وإخـلاله بواجبه ..

راح يحمد حسن حظه ، إذ لم يكتشف نومه أحد ، ولكنه كان متعجلا بعض العجلة في هذا الحد .

بيد أنه لم يعرف أحد أن هذا البيت ، كان فيه زائر غـــير مرغوب فيه إلا عندما أطل المساء ، وأقبل المفتش غاريتي لمعاينة مكان الجريمـة مرة أخرى .

وكان من الممكن مع ذلك أن تظـل هذه الزيارة مجهولة ، لولا أن المفتش اكتشف ضياع رقعة من الورق موقعة بالحرف « ن » كانت موضوعة على المنضدة بالغرفة التي كان يستأجرها .

كما قصت بضع بوصات من الحبل الحريري الأزرق الذي خنقت بنـــه دوروثي هيمرز .

* * *

ظـــل دونوفان ، وقتاً طويلا ، يحدق في فرخ كبير من الورق على مكتبه .. وهو يضيف بين الفينة والفينة كلمة أو بضع كلمات إلى مـا كتب به .

وكانت الورقة مقسمه بخط سطر في وسطها ..

وقد سطرت على جانبي الخط ملاحظات مكتوبة بخط دونوفان الواضح الأنيق كما يلي :

١ – ليس ثمة ما يدعوك الى قتل مسز دوروثي هيمرز بعـد سرقـة السوارين .

٢ – إذا كان الانتقـام هو الدافع له ، فلماذا لا يهـاجم هيمرز مباشرة بدلاً من زوجته ؟

٣ – اختفاء مارتيلي .. إن مسز هيمرز ذهبت إلى هناك لمقابلته .

٤ – لماذا أخذت السوارين إلى تلك الغرفة ؟

٥ – ماذا يمكن أن يكون في ماضي دوروثي هيمرز ؟

وفي المقطع الثاني :

١ – انه أنذر بسرقة السوارين من مسز هيمرز .

٢ – اختفى السواران ، وهذا دليل على انه انفذ وعيده .

٣ – نظرية جاريتي في الانتقام ؟

٤ - كان يشغل الغرفة الملاصقة للغرفة التي قتلت بهـا مسز

هيمرز .

٥ – مسلك فلورنس ستار ، (ولكنها ربما لم تكن تعني « ن » بقولها انه قتلها) .

٦ - اختفاء بوبي هيمرز ، (أم قد لا يكون لهذا صلة بالجريمة ؟)

وهز دونوفان رأسه وهو يتنهد ..

إن دفاعه عن الشخص الذي يرمز إلى نفسه بالحرف « ن » ضعيف متهافت .

وتحول ببصره إلى فرخ آخر مملوء بالملاحظات ..

لكنها كانت كلها في صيغة السؤال ..

وما يدري دونوفان ، أي كفة ترجح إذا قيض له أن يظفر بالجواب .

وراح يتصفحها من جديد :

١ – لماذا كانت عينا القتيلة مغمضتين ؟

٢ – ما الذي يعرفه ليون مارتيلي ؟

٣ – لماذا فرت فلورنس ستار ؟

٤ – من الذي كانت تعنيه بقولها انه قتلها ؟

٥ -- من هو « ن » ؟

وكان في أدنى الصفحة سؤال كأنه أضيف على الأسئلة المتقدمة بعد إمعان النظر والتفكير :

٦ - ما الذي حدث لجون كازاليس ؟

وقرأ دونوفان الصحيفة مرتين ..

ثم أضاف اليها سؤالاً جديداً لم يلبث أن وضع تحته خطاً بعد شيء من التروي :

٧ – لماذا يرمز إلى نفسه بالحرف « ن » .

ولم يلبث أن وضع الورق جانباً وهو يقول :

– ان لدي الأسئلة كلها ، ولكني لا أعرف لها جواباً .

ومر بخاطره بعد ذلك ، جون بورتر ، الذي لا يزال حراً طليقاً في مكان ما ..

فأخذ من الدرج برقية مدير المستشفى وتلاها من جديد . لقد اتخذ كل ما في الامكان لاعتقال المجنون الهارب .

ولكن هذا لم يكن بالأمر السهل ، إذ أن ذلك المجنون يبدو لمن لا يعرفه في أتم حالات العقل .

كما انه حاذق بارع ماكر ، شديد الدهاء ، يبدو انه عظيم الخطر متعطش الى سفك الدماء .

وقد كانت العودة الى نيويورك من أعراض جنونه البارزة

ولا يبعد أن يكون قد تمكن من ركوب إحدى السفن .

وقد أرسل وصف سابق له الى إدارة البوليس في نيويورك ، وإلى الدوائر الجمركية .

ان جون بورتر ، كان أشد المستثمرين تأثراً بما فعل هيمرز وشركاؤه ، فان ثروة أسرته لم تذهب بأسرها فحسب ، بل فقد حساب الشاب كذلك أباه وأمه جميعاً .

فلا عجب إذا كان المسكين قد جن ، وقد تولى صديق كريم ، لا يعرفه ، حتى دونوفان سداد مصاريف المستشفى الذي نزل بـه الشاب المنكود ..

وقد وصف الطبيب المريض الهارب بشدة الحذق والدهاء ..

وقد كان جون بورتر أكثر من ذلك قبل أن تغشاه تلك الغاشية .. كان شاباً المعياً مولعاً بدراسة الاجرام بصفة خاصة ..

أيمكن أن يكون شفي من جنونه ؟

ان الأطباء كثيراً ما ثبت سؤهم ..

وإذا كان بورتر هو الشخص الذي يرمز إلى نفسه بالحرف « ن » ، فإن هذا يبدد ما يكتنف مقتل دوروثي هيمرز بهذا الغموض والخفاء .

ولكن سرقة جواهر جيفورد حدثت قبل هروب بورتر من المستشفى ، فإذا لم يكن بورتر هو « ن » فمن يكون بحق شياطين الجحيم ؟

وقطع عليه تفكيره دخول الصحفي توم كلارك في ضجته المعتادة ، وبعد أن اطمأن به المجلس ، سأله دونوفان :

– هل من جديد ؟

– نعم ، كثيراً .. إن ايفا وصيفة المرحومة مسز هيمرز فتاة وثيقة الجانب أنيسة العشرة ، او قل انها غدت كلفة بي لا تطيق فراقي ، واني لأعجب أحياناً لما أصيب من التوفيق عند الحسان .

فانتهره البوليس السري قائلا :

– دعنا الآن من سلطانك على النساء ، ماذا قالت لك ؟

– عدة أشياء .. أولاً ، ان رتزو هيمرز ، كان يعلم بسر سير زوجته .

– لقد خطر لي ذلك ؟

– ثانياً ، ان دوروثي هيمرز خرجت أمس لتعطي خليلها السوارين ..

فرفع دونوفان حاجبيه دهشة وعجباً ..

ومضى توم كلارك في حديثه يقول :

– ان ايفا الصغيرة ذكية أريبة لا يفوتها شيء ، فقد استطاعت أن تقف على الخطة كلها ..

– أية خطة ؟

– كان مارتيلي يبتز نقود عشيقته ، بطريقة رقيقة مهذبة طبعاً .. فلما تلقى هيمرز تلك الانذارات الموقعة بالحرف « ن » تفتق ذهن مارتيلي عن

خطة ماكرة لاخفاء السوارين بحيث يفوز « ن » باللوم كله !
فصمت دونوفان هنيهة ..

ثم سأل :

– هذا اذن سبب حملها السوارين الى ذلك البيت ، ولكن هذا لا يعلل مع ذلك استئجار « ن » للغرفة المجاورة .

– رأيي ان « ن » قد عرف بطريقة ما على ما بين العاشقين فعمل على استغلاله لمصلحته ، ولكن هذه الضجة التي أحاطت بقتل دوروثي هيمرز صرفتنا عن اختفاء ابنته بوبي .

ونظر الى البوليس السري .
فلما لم يجب أردف كلارك :
– انك لا تريد الافضاء الي بشيء ..
وغادر المكتب ، وهو ينحي المقاعد من طريقه في ضجة تصم الآذان .
وما كاد ينصرف حتى أقبل زائر آخر هو رونزو هيمرز ، وراح دونوفان يتأمله في دهشة وعجب .

فقد قتلت زوجته ، واختفت ابنته ، وسرق منه سواران يعدلان ثروة طائلة ، ومع ذلك ، فليس في وجهه ما يدل على امر غير عادي قد نزل به ..
وقال هيمرز في حدة :
– لقد اتيت لأستوثق من انك لن تتخلى عن القضية .

فدهش دونوفان وسأل :
– أتخلى عنها ؟ ولماذا أفعل ذلك ؟
– لأن رجال البوليس يضطلعون بها .
– ما خطر التخلي عنها على بالي قط .
– يسرني هذا ، فإني أريد أن تعثر على قاتل زوجتي ، قبل أن يزعم

أحد انني انا القاتل .

– أكنت تعلم صلة زوجتك بمارتيلي ؟

فقال هيمرز دون تردد :

– نعم ، كنت اعلم ذلك .

وأخبره دونوفان بما سمعه من توم كلارك عن الخطة التي كانت مبيتة لاعطاء السوارين الى مارتيلي .

ولكن هيمرز نفى علمه بها وقال :

– لا ريب ان القاتل هو ذلك الشخص المجنون فمهمتك هي الاهتداء اليه .

فقال البوليس السري بجفاء :

– نعم ، ولكن استيفاء للبحث يجب استجلاء نقطة أخرى ، أين كنت في الوقت الذي قتلت فيه مسز هيمرز ؟

ولمح دونوفان ابتسامة عابرة تلوح على وجهه الجامد كومضة البرق قبل أن يجيب :

– لقد كنت طوال الوقت بالنادي الذي اختلف اليه ، إذ ذهبت حوالي الساعة الثالثة ، وربما يذكر البواب ساعة وصولي بالضبط ، وغادرته حوالي الساعة الخامسة حيث عاد بي سائقي توم الى البيت رأساً ، وقد رآني هناك عدد من الأصدقاء بينهم هيوم وماك غي وغيرهما .

– يحسن بك أن تتحقق من صحة مواعيد وصولك وانصرافك من بواب النادي ، حتى تكون مستعداً إذا سئلت عنها ، وما أزعم انك في حاجة إلى ذلك ، ولكن من الحكمة أن تكون الأدلة على بعدك عن موطن الجريمة متوفرة ؟

فقال هيمرز فجأة :

– لننتقل الآن إلى مسألة بوبي ، فاني أرجو ألا تنسيك هذه المسألة الجديدة انها لا تزال مختفية ، وقد يفضي العثور عليها إلى الشخص الذي كتب

تلك الانذارات .

وفتح الباب على غير انتظار ، ففغر دونوفان فاه دهشة وذهولاً .

وسألت بوبي هيمرز في مرح وهي تتقدم في الغرفة :

– هل سمعتكما حقاً تذكران اسمي ؟

ووقفت لحظة تبتسم للرجلين اللذين ظلا يحملقان فيها دون أن يستطيعا نطقاً ..

ثم سألت :

– حسناً .. اليس فيكما من تسره رؤياي ؟

الفصل الرابع

ظل الرجلان في دهشة وذهول ، كأنهما يشهدان طيفاً من عالم الأرواح ، وكان دونوفان أول من استطاع الكلام ، فقال في صوت مضطرب :

– مس هيمرز .. أسالمة أنت من كل سوء ؟

فضحكت قائلة :

– علام يدل مظهري ؟

ثم سارت إلى المكتب وجثمت على حافته ، وراحت تهز ساقيها عابثة .

– وكيف وصلت إلى هنا ؟

– جئت في سيارة أجرة وصعدت بالمصعد فقد علمت عند وصولي إلى البيت أنني خطفت ، وانكما في شغل شاغل بسبب اختطافي ..

فابتسم دونوفان وقد سرى عنه وقال :

– لا يمكنك أن تنحي علينا باللائمة ، لاعتقادنا انك قد خطفت . فإن المرء إذا اختفى عن وجه الأرض ، على هذا النحو .

وهنا تمكن رنزو هيمرز من الكلام ، لأول مرة منذ دخلت الغرفة فقـال :

– وعقدك .. الزمرد .. ماذا حدث له ؟

– لم يحدث له شيء ، وهو بصنـدوق مجوهراتي في البيت حيث يجب أن يكون .

راح الأب والأبنة يتبادلان النظرات ، فلاح لدونوفان أن البغضاء بينهما كالتيار الكهربائي

وأراد ان يخفف مما يسود الموقف من التوتر فقال :

– كان ينبغي ان ترسلي نبأ عن مكانـك . فقد أزعجنـا غيابك .

– إني آسفة حقاً .. ولكني كنت أعتقد ان غيابي لا يهم أحـداً ، ولم أقرأ شيئاً في الصحف .

قال دونوفان :

– لقد طوينا الخبر عن الصحف .

وسنح له خاطر فجائي فأردف قائلاً :

– وما دمت قد قرأت الصحف فلا بد أن تكوني عالمة بحادث مستر هيمرز ؟

– أجل علمت به

وانثنت إلى أبيها قائلة :

– لقد جئت هنا في الحقيقة متوقعة أن أتهم بقتلها إذ لم يكن بيني وبينها حب مفقود ، وها أنا هنا غب غيبة مريبة .

– إن هذا لم يخطر ببالي قط . أكنت تسـوقين سيارتك عندمـا تحطمت ؟

– كلا ، بـل تركتها واقفة في زقـاق .. وكان هـذا ، آخر

عهدي بها

وقال هيمرز :

ـ أين كنت يا بوبي ؟

فحدجته الفتاة بنظرة فاترة وأجابت :

ـ هذا شأني الخاص ، ليس لأحد أن يتدخل فيه ، أو يحاسبني عليه .

وتمنى دونوفان خلال الدقائق الخمس التي تلت ذلك لو انه بأي مكان في العالم غير تلك الغرفة .

فقد تلظى هيمرز غضباً إلى درجة راعت دونوفان على ما يعرفه من شراسة خلقه وسوء طباعه .

واحتدم غضب الفتاة كذلك ، فانطلقت خارجة وصفقت الباب خلفها بعنف اهتزت منه جدران الغرفة .

وبعد انصراف هيمرز ببضع دقائق ، فتح باب الغرفة ثانية في خفة وتمهل ، وأطلت منه بوبي وراحت تدير عينيها في الغرفة محاذرة ، ثم قالت :

ـ ألا تريد ان تعرف أين كنت طوال هذه المدة ؟

فأجابها دونوفان :

ـ طبعاً أريد ذلك وإنما كنت متوقعاً ان تخبريني به .

ـ لقد كنت في زيارة الرجل الذي يدعو نفسه « ن » .

فشخص اليها دونوفان في دهشة بالغة ، عقلت لسانه هنيهة ، ثم قال في هدوء :

ـ أرجو ان تخبريني بقصة هذه الزيارة يا بوبي .

وروت له الفتاة بعض ما وقع لها ، فأخبرته كيف تعرفت بذلك الشاب في حفلة كوكتيل .

وكيف طافت معه بالنوادي الليلية ..

وكيف وقع حادث الاصطدام ، وحمل الرجل الذي عرفته باسم « مون » إياها إلى بيته .

ثم قالت :

– لقد أخبرتك بالكثير . فمن الانصاف ، أن تفضي إلي بما تعرفه عنه ؟

فراح دونوفان يقص عليها ما يعرفه .

وأشرق وجه الفتاة بالابتسام عندما أخبرها بالهدية العجيبة التي تلقتها مولي كازاليس .

وقالت :

– مسكينة مولي . لقد مر بها وقت عصيب حقاً ..

ثم التمعت عيناها بنظرة عجيبة وقالت :

– أيمكن أن يكون هو مصدر النقود التي تلقتها ؟

– بلا ريب .

– وهل تعتقد ان هذا ما يفعله بكل ما يحصل عليه من المال ؟ أيرده إلى الذين سلبهم إياه أبي وشركاؤه الأوغاد ؟

قال دونوفان :

– من السهل ان تدركي ذلك بنفسك .

– لم يدر هذا في خلدي فما أخبرني به قط .

وأطلعها دونوفان على ما يعرفه عن مقتل دوروثي هيمرز .. كما أخبرها ان الشبهات تتجه كلها إلى الرجل الذي عرفته باسم جون مون

فقالت بوبي :

– إنه لم يقتل دوروثي هيمرز .

– هذا مجرد ظن !

– بل هي الحقيقة بعينها .

– أخشي ألا يكون هذا دليلاً مقنعاً .

– إني أعرف ذلك ، كما يعرفه هو ، وقد جئت إلى هنا ، موفدة من قبله ..

ستتلقى غداً رسالة منه متضمنة ما يقنعك ببراءته وسيبحث كذلك عمن قتل دورثي .

وهنا دق جرس التليفون فتناول دونوفان السماعة وراح يصغي إلى قصة طويلة .

وقال وهو يعيد السماعة إلى مكانها :

– إن محدثي هو المفتش جاريتي ، من رجال إدارة المباحث الجنائية .

وقد روى لي قصة تثير العجب والضحك معاً .

فقد ذهب إلى الشرطي المعين لحراسة المنزل الذي قتلت فيه مسز هيمرز رجل ضئيل الجسم في خفة الأرنب ينتحل اسم « البرت بونس » وزعم انه بوليس هاو .

فسخر منه الشرطي ولم يحفل به وحاول ان يغري الشرطي بالسماح له بمعاينة الغرفة ..

فطرده ..

بيد ان الشرطي ، لم يلبث أن غلبه النعاس ، بعد ذهاب الرجل .

واكتشف المفتش جاريتي ، بعد ذلك ضياع رسالة من الغرفة المجاورة لغرفة الجريمة .

واقتطاع بضع بوصـات ، من الحبـل الذي خنقت بـه ، مستر هيمرز .

* * *

لم يكن ولفريد هيوم شاباً عادياً ، إذ كان يجري في عروقـه مزيج عجيب من الدماء الانجليزية والأمريكية ، فورث أبرز ما في الشعبين من الصفات والطباع .

وكانت أمه الليدي ماري فوردويس نادرة الجمال ، رشيقة الأعضـاء ، شقراء البشرة . .

أما أبوه ، توماس هيوم ، فقد كان عصامياً من أصحاب الملايين ، بلغ ذروة النجاح بكده وجده دون غيرها من الأسباب .

وقد توفيا كلاهما منذ عدة سنين .

ورث الشاب عن أمه ما اشتهرت به أسرة فوردويس على تعاقب الأجيال من سمو النفس ، ورقة العاطفة والجود والسخاء .

كما ورث من أبيه القوة والشجاعـة ، والتمسك بمقتضيات الشرف والأمانـة .

ولقد بغضت اليه الضربة المالية التي دبرها هيمرز عالم الأعمال وأساليبه ، إذ اندفع اليها مغمض العينين ، وترك قياد الأمر بين يدي هيمرز يوجهه كيف شاء .

ثم تكشفت له الطريقة التي تمت بها اللعبة ، ورأى ما جرته على كثير من الناس من الخراب والدمار ماثلاً فيما أصـــاب مربيته ، وتلقى على أثر هذا الاكتشاف الرسالة المذيلة بالحرف « ن »

وفي الليلة التالية لزيارته لدونوفان ، أخرج من خزانة ثابتة بالجدار « تاج فوردويس » حيث كان يحفظ دائماً وحمله إلى غرفته ووضعه بدرج مكتب بجانب سريره وأغلقه .

ثم أخذ ربطة من ذلك المكتب ، ونزل بها حيث وضعها بالخزانة مكان التاج ، ومعها رسالة ، استغرق إنشاؤها وتحبيرها وقتاً طويلاً .

وبعد أن فرغ ولفريد هيوم من هذه المهمة ، أوى إلى فراشه حيث استغرق في نوم هنيء كنوم البررة والأطهار .

وفي بكرة الصباح التالي أيقظه من نومه خادم ارتسمت في وجهه آيات الجزع والهلع ، وأنبأه ان أمراً هائلاً قد حدث ، في الليلة الماضية .

إذ وجد الحارس غائباً عن الصواب في البهو بفعل مخدر دون ريب ، ولا بد ان يكون التاج قد سرق .

فهل يتفضل المستر هيوم بالنزول لينظر في الأمر إذ أنه وحده الذي يستطيع فتح الخزانة ؟

وكان المستر هيوم راغباً في ذلك طبعاً ، وما كاد يفتح باب الخزانة حتى شهق الخادم مرتاعاً .

فقد كانت خاوية !

وهتف الخادم :

– لقد ذهب يا سيدي سرق التاج !

فانثنى اليه هيوم وقال يطمئنه :

– كلا .. إنه بدرج المكتب بجانب سريري .

وأخذ يصعد السلم وثباً وهو يصفر بفيه ، وهي حالة عجيبة في رجل قد سلب مبلغاً لا يستهان به من المال !

وفي اليوم نفسه أبلغ دونوفان ما حدث .. فقال البوليس السري انه كان يتوقع هذا ..

وأعيد « تاج فوردويس » إلى مكانه بالخزانة ..

بيد أنه كان ثمة أمر واحد ، أغفل هيوم إطلاع دونوفان عليه عمداً ، ذلك انه أشار في الرسالة ، التي تركها مع النقود ، إلى انه ينتظر جواباً ..

والغني ما كان مرتبطاً به من المواعيد ، ولزم بيته ذلك المساء محاولاً ان يتلهى بالقراءة في المكتبة .

وأوى أخيراً إلى فراشه ، فلم يغمض له جفن ، بينما ران الكرى على أهل البيت جميعاً ، وانعقد السكون من حوله فكان أضعف الأصوات يبدو ضخماً مدوياً .

وفيما هو يهم باضاءة المصباح من جديد لقتل الوقت بالقراءة حتى يوافيه النوم ، سمع صوتاً لم يخف عليه معناه ، فقد فتح أحد الأبواب المفضية إلى شرفة الطابق الأرضي .

وسرعان ما فارق ولفريد هيوم سريره وتدثر بثوب منزلي ، ثم أخذ مسدساً صغيراً شديد الفتك من درج مكتبه ووضعه بجيبه ، وانطلق يهبط السلم في خفة الهر .

ووقف بباب المكتبة ، وقد لمح على مكتبه ظرفاً كبيراً أبيض ، ثم تناوله ورأى في ذلك الضوء الخافت اسمه مكتوباً عليه بخط واضح الدلالة على كاتبه .

وأضاء مصباح المكتب الصغير وفض الظرف فلم يجد به سوى رقعة صغيرة من الورق بها بضع كلمات :

« القيمة تسددت بأكملها — ن » .

خرج ولفريد هيوم من الباب الجانبي ، وأخذ يدير عينيه مسرعاً

في الحديقة .

ثم تسلل بخفة حذاء البيت مستتراً بظلال الأشجار .

وخيل اليه انه يلمح شبحاً في ظل البوابة ، فأخذ يسير مع السور الحديدي متجنباً الضوء .

وقد صح ظنه ، إذ كان هناك رجل في زاوية مؤلفة من السياج الحديدي وقائمة البوابة .

وأسرعت دقات قلب هيوم وهو يهتف في صوت منخفض :

– تعال من هناك !

فبرز الشبح من ركن الظلال ورآه هيوم رشيقاً غير طويل القامة ولكن وجهه كان يخفيه طرف قبعته .

وقال الرجل الغريب :

– لقد كنت أرجو ان تستيقظ وتهبط إلى الطابق الأرضي .

فأجابه هيوم .

– أرجو أن تبرز إلى النور لكي أرى وجهك

وخطا الرجـــل إلى دائرة من الضوء تنعكس من مصباح الشارع ، ورفع قبعته .

وراح هيوم يصعد فيه بصره طويلاً ثم قال في صوت هادىء :

– لقد ظننت انه ربمـــا كنت أنت ذلك الرجل ... هيا بنا إلى البيت

* * *

لم يكن من السهل تهدئة ثائرة دونوفان ، إذا عرته نوبة من الضيق

والضجر .

وقد كانت زيارة بوبي هيمرز له فاتحة لاحدى تلك النوبات .

ولزمه الضجر حتى اليوم التالي وهو في انتظـار تلك الرسالة الموعودة من « ن » .

والفى الرسالة بانتظاره عند وصولة إلى مكتبه ، فراح يقلب الظرف بين يديه قبل أن يفضه .

ثم فتحه وأخرج منه عدة صفحات من الورق الرفيـع مكتوبـة بذلك الخط الواضح المائل !

ثم أشعل غليونه واستقر في مقعده وأخذ يقرؤها ..

« عزيزي دونوفان ..

« لم أقتل دوروثي هيمرز .

« واني لأعلم ان كل ما بين يديك من القرائن يشير إلى اتهامي ، ولكن هاك روايتي لما حدث .

« ذهبت إلى البيت الذي كان ملتقى مسز هيمرز بعشيقهـا لأسرق سوارها .

« وكنت على علم بما دبرته لاعطائها إلى خليلها والقاء اللوم علي .

« فوضعت من الوسائل بعد ظهر ذلك اليوم ما يعوق مارتيلي عن موافاة عشيقته قبل انقضاء وقت طويل على الموعد المتفق عليه بينهما .

« ولما دخلت مسز دوروثي الغرفة التي وجدت مقتولة بهـا فيما بعـد ، كنت مختبئاً خلف الستائر المنسدلة في نهاية الغرفة ، فأطلقت جهازاً دقيقاً يحوي غازاً مخدراً شديد المفعول عديم العطر .. لعلك لاحظت انني استعمله في بعض الأحوال !

« بعد ان اتخذت من الحيطة ما يذود عني تأثيره .

« وقد فعل هذا الغاز الذي لا يعرف سره سواي فعله فغـابت عن

الصواب !

« فأخذت السوارين ، وذهبت إلى غرفتي التي كانت ملاصقة لحجرتها كما تعلم .

« والآن .. دعني أسوق اليك الملاحظات التالية عن دوري في هذا الحادث .

« أولاً .. لم يكن ثمة ما يحملني على قتل مسز دوروثي ..

« لو كان لي ثأر شخصي أطالب به ، لانتقمت من رونزو نفسه وليس من امرأته ..

« ثانياً .. إذا خالجك الريب في انها كانت غائبة عن الوعي عند السرقة ، وعند قتلها أيضاً ، فمن السهل أن أقدم الدليل الحاسم على ذلك ..

« فاني اعتقد ان عينيها كانتا مغمضتين عندما عثرتم عليها ميتة ،

« كما أن تشريح الجثة ، لا بد ان يكون قد كشف الآن عن وجود الغاز في رئتيها .

« وثالثاً .. مسلك الراقصة فلورنس ستار فقد علمت انها هتفت عند العثور على الجثة ..

« لقد قتلها ! »

« فمن الذي كانت تشير اليه ؟ -

« لا ريب انها لم تكن تقصدني ، إذ انها لا تعرف عني شيئاً ، ومحال ان تقصد مرتيلي كذلك .

« واني لاعلم ان كل هذا لا يغني عني شيئاً في نظر القضاء ، ولكني أرجو ان يكون به ما يكفي لاقناعك .

« وسيكون أول اهدافي العثور على فلورنس ستار ، وسأرسلها اليك بعد الوقوف على ما عندها من المعلومات .

« وأشعر انني مدين بالاعتذار إلى رجال البوليس عن فعل البرت يونس بالأمس ..

« فقـــد كانت زيارته ضرورية لجمع أسرار هذه الجريمة ، إذ عثر على عدة شواهد لها أعظم الاهمية .. ولم يفطن اليهـا رجـال البوليس ، وسأبعث بها اليك متى انقضت حاجتي اليها .

« واني لأعلم يا دونوفان انك شخص راجح العقل ، بعيد النظر صادق الفراسة

« وقد عهـد اليك ، بالعثـور على الشخص الذي يسرق هيمرز وشركاه ، فهل ترجيء هذه المهمة الى ما بعد العثور على قـاتل دوروثي هيمرز ؟

« فإذا ما انتهت هذه القضية كان لك أن تنصرف إلى العمل على اعتقالي ! »

« إذا استطعت

« ويمكنك أن تراسلني إذا أردت عن طريق « باب الاجتماعات بصحيفة التيمس » .

المخلص

« ر »

« حاشية :

« في وسعك أن تنبيء المستر أبرناذي بأن لا شأن له على الاطلاق بخطتي فيما يختص بسرقة عقد ستار فلاور » .

وضع دونوفان الرسالة جانباً ، وأشعل غليونه من جديد واضطجع في مقعده مفكراً .

لقد لقي في حياته كثيراً من المجرمـــين ، على اختلاف أنواعهم ،

فكانوا دائماً موضع مقته وازدرائه ، وقد ظفر بعضهم منــه بشيء من العطف والرثاء .

ولكن هذا الرجــل ، الذي يرمز إلى نفســه بالحرف « ن » والذي عرفته بوبي هيمرز باسم « جون مون » يختلف كل الاختلاف عن كل من عرفه من المجرمين ، فما يسلك مسالك الاجرام إلا لرد المظالم وإعـــادة الحقوق المغتصبة إلى ذويها .

بيد انه في نظر القانون معتد أثيم ، والواجب يحتم على دونوفان مطاردته ووضعه في قبضة العدالة .

واتصل بالمفتش جاريتي يسأله عن نتيجة تشريح الجثة ، فأخبره انــه ثبت وجود غاز بالرئتين ، وان المرأة كانت على الأرجح غائبة عن الصواب عندما قتلت .

ووضع دونوفان السماعة في مكانها وأرسل الاعلان التالي لنشره في باب الاجتماعيات بصحيفة التيمس :

« قبلت اقتراحك . أرجو لك التوفيق » .

* * *

يقوم منزل رتزو هيمرز بنيويورك ، وسط حديقة صغيرة يحيط بها سور حديدي مرتفع تتسدل على أعاليه الأغصان المورقة المتهدلة ويكسو قضبانه النبت الأثيث الملتف .

وقد بلل ماء المطر تلك الأغصان ، وعلقت بأوراقها قطرات من الماء تتلألأ في الضوء المنعكس عليها من مصابيح الشارع ، حين جثم في ظلالها رجل يرقب ذلك البيت المظلم .

وكان رونزو قد اعتزم فجأة الرحيل مع ابنتــه إلى قصره الريفي في « لونج ايلاند » .

فأضيئت المصابيح ، في جميــع نواحي البيت ، لأول مرة ، منــذ قتلت مسز هيمرز ، وأخــذ الخدم يروحون ويجيئون ، في التأهب والاستعداد .

بيد ان ذلك الرجــل الجاثم ، لم يكن مأخوذاً بسنا تلك الأنوار الساطعة . وإنما كان متربصاً حتى تنطفيء عن آخرها ، ويلف البيت الظلام .

وكان زري الهيئة يقطر الماء من أطراف قبعته وياقة معطفه ، وتلوث حذاءه الأوحال ..

ولكن لم يكن له معدى عن الانتظار ، في ذلك الجو المطير ، إلى أن تطفأ الأنوار ، وإلا رحل رونزو في الغد عن نيويورك وأصبح بعيداً عن متناول يده .

على انه لم يكن وحده يرقب ذلك البيت ، فقد وقف في ظل إحدى الأشجار المنحنية على السور في الطرف الآخر من الحديقة رجل آخر يبلله المطر وتلوثه الأوحال بالمثل .

كان كل منهما يجهل وجود صاحبه كل الجهل ، ولكنهما يعرفان أحدهما الآخر ، وإن كان آخر عهدهما باللقاء منذ زمن بعيد في بلد نازح ، وفي ظروف تختلف أتم الاختلاف .

ولكنهما كانا مهتمين على السواء بمراقبة بيت رنزو هيمرز أشد الاهتمام ، على تباين البواعث والأسباب

وأطفئت الأنوار بعد انتصاف الليل بوقت طويل فغادر ثاني الرقيبين مكنه .

وما كاد يدور حول زاوية السور ، حتى وقع بصره على الرقيب الأول

وهو قابع في ظلال الأشجار .

وبعد ان تردد لحظة ، أخذ يتقدم على الرصيف بخطى مسرعة ، كأنه عابر سبيل .

حتى إذا ما حاذى الرجل الآخر ألقى عليه نظرة سريعة فاحصة ، فلم يلبث أن وقف فجأة وراح يحدق في وجهه .

وقف الرجلان يتبادلان النظرات صامتين، وقد راع أحدهما وجود صاحبه بذلك المكان وأدهشه .

بينما راح الرجل الآخر يكد ذاكرته القاتمة المظلمة ليتذكر صاحب هذا الوجه الذي يشعر انه يعرفه .

بيد انه لم يستطع ان يتذكر إلا شيئاً واحداً هو ان هذا الرجل قد أتى ليحول بينه وبين ما اعتزم الاقدام عليه .

فوثب إلى الأمام ، مزمجراً كالوحش الضاري ، ويده في جيبه الخلفي .

ولكن جون مون كان أسرع منه حركة ، وسرعان ما طار المسدس من يده ونفذ بين قضبان السور حيث استقر بين طائفة من الأعشاب النامية الكثيفة .

وهتف مون :

– قف أيها الأحمق ! ألا تعرفني ؟

ولكن هذه الكلمات لم تحدث أثراً ، وقبل أن يتمكن المجنون من الوثوب ثانية ، سدد اليه مون لكمة قوية ، ألقته على الرصيف ، غائباً عن الصواب .

وأسرع جون مون في الشارع ، إلى حيث كان جو في انتظاره بالسيارة .

فجاء به ، وتعاونا على حمل المجنون اليها ، ثم انطلقا به إلى

البيت ..

ولما أضجعاه على السرير بغرفــة مون ، أخذ مون يتأمل وجهه ، ثم قال :

– إنه لم يمت !

رد جو :

– كلا .. إنه غــائب عن الصواب ، وسيعود إلى الرشد .. ويجب أن نستبقيه هنا .. وإن كان هذا ، سيجشمنا كثيراً من التعب والعناء ..

وينبغي ألا نغفل عن مراقبته لحظة واحدة .

– ليس هذا بالأمر العسير ..

وبعد أن صمت قليلاً أردف قائلاً :

– لكننا لا نستطيع المضي في ذلك إلى ما شاء الله .

– أعرف ذلك .. ولكن ، ليس ثمة من سبيـــل إلى إعادته إلى الخارج ، وليس في الامكان إدخاله إلى مصحـة بهذه البلاد .. إن هذا يستدعي كثيراً من الانتباه ، وما نستطيع كذلك ، ان نتركه مطلق السراح ..

ونقل المجنون إلى تلك الغرفة بالقبو ، بعد ان هيىء بها أقصى ما يمكن من أسباب الراحة .

بيد أنه كان مطيعاً ، سلس القياد إلى درجة تبعث على الدهشة ، وسرعان ما أخذ يروض نفسه على ظروفه الجديدة .

لكنه بدأ منذ اللحظة الأولى يدبر الخطط ويتفحص آسريه لكي يعرف أسهل الوسائل للتغلب عليهم ، وراح يمتحن الأبواب والنوافذ ويتعرف أحوال أهل ذلك البيت ..

لم يكن في ذهنه شيء واضح ، سوى فكرة واحدة ، تتقد كالشعلة

الملتهبة ..

يجب أن يفر ويصل إلى رنزو هيمرز .

* * *

إنعقد مؤتمر من جون مون وجو وماركس ، وكانت فلورنس ستار مدار البحث .

قال مون مقطب الجبين :

– يجب العثور عليها فوراً وإلا اضطررنا إلى وقف أعمالنا ..

ونظر إلى جو ثم إلى ماركوس ، وكان يعلم ان هذا الأعرج ، إذا تتبع أثراً ، فلن ينصرف عنه ، او يظفر بضالته ، مهما طال به الزمن .

أما جو فيمتاز بصلاته الوثيقة بكثير من أهل الشر والفساد وأفراد الطبقة الدنيا .

وقد حان وقت الانتفاع بهذه الصلات ، بل لقد بدأ جو استغلالها فعلاً ، فاهتدى إلى سائق السيارة التي استقلتها فلورنس ستار عند فرارها ، وعلم منه انه حملها إلى مسكن لورا كين ، الراقصة معها بحانة (النجمة الحمراء) .

وقال مون وهو ينظر في ورقة بيده :

– لقد كانت لورا كين متغيبة عن المسكن في عملها ، عندما ذهبت اليه فلورنس ستار ، وقال عامل المصعد ان فلورنس نزلت بعد نحو ربع ساعة ، وهي تلبس ثوباً رمادياً وكوفية برتقالية ، وقبعة سمراء عريضة الحواف من القش ..

ثم وضع الورقة على المنضدة قائلاً :

– وهنا ينتهي الأثر .

رد ماركوس :

– أو يبتدىء .. ستجد فلورنس نفسها في حاجة إلى النقود لأن أمثالها قلما يدخرون شيئاً .

فرد مون :

– لقد خطر لي هذا ، ولا ريب ان لورا كين صديقتها الحميمة ، وستلجأ اليها في طلب المعونة ، ولا بد أن تقترض لورا ما تحتاج اليه صديقتها بوجه من الوجوه .

وهناك قال جو :

– ستقترضه من الحانة بلا ريب . وسأقف على ذلك ، من خادم أعرفه بها .

ولما ذهب الرجلان ، عكف مون على رقعة الورق وقطعة الحبل ، اللتين أخذهما البرت بونس من البيت الذي قتلت به دورثي هيمرز ، وظل مشتغلاً بهما بقية بعد الظهر .

ثم عاد جو وقد نجح في مهمته وتبين ان لورا كين اقترضت هذا الصباح من الحانة مائة دولار تسدد من مرتبها .

وعاد بعد ذلك ماركوس وقد نجح في مهمته كذلك إذ علم ان لورا كين أرسلت هذا المبلغ بعد الظهر بحوالة برقية الى من تدعى مس ف أدامز بفندق رخيص بمدينة فيلادلفيا .

وذهب ماركوس إلى فيلادلفيا وما زال يتتبع آثارها حتى تبين أنها عادت الى نيويورك باحدى السيارات العامة ، ثم اختفت في السكة الحديد التي تسير تحت الأرض .

وعرض ماركوس ان يمضي في البحث والاستقصاء حتى يهتدي إلى مقرها ،

لكن مون أعرب عن اعتزامه مقابلة لورا لاعتقاده ان فلورنس ستار مختبئة في مكان ما بنيويورك .

ولما طرق باب مسكن لورا ، لم تفتح البـــاب إلا قليلاً ، وقالت له على الفور :

– لا أريد شراء شيء فامض لشأنك .

وهمت باغلاق الباب فقال :

– إنتظري قليلاً فإني أريد التحدث اليك في شأن فلورنس ستار .

فردت :

– لا أعرف أين هي . لا أعرف عنها شيئاً .

وهمت باغلاق الباب مرة أخرى فاستوقفها قائلاً :

– ليس لك ما تخشينه مني فما انا من رجال البوليس ولا الصحافة ، وإنما يتعلق بهذا الأمر حياتي نفسها .

وبعد ان استطاع إقناعها فسمحت له بالدخول ، وراح يحدثها في صراحة عجيبة ، ثم اضاف :

– إني لا أعتقد ان ثمة مـــا يبعث مس ستار على الخوف من رجال البوليس ، وليس لها من صلة بالجريمة سوى انها تعلم،او تعتقد انها تعرف الرجل الذي ارتكب الجريمة .

وردت لورا كين بعد شيء من التردد :

– نعم . إن الأمر كذلك .

– ولكني لست بالرجل الذي ترهبه وتخشاه ، إذ انها لا تعرفني ، ولم ترني قط .. وهكذا ترين أنني في مأزق حرج .. فإني لم أقتل دورثي هيمرز ، ولكن البوليس يتهمني بقتلها ، وقد يستطيع إثبات ذلك إذا لم أظهر القاتل .

فوقف قليلا وقد سره أن يرى في وجه لورا مـــا يدل على العطف ،

وتابع يقول :

– واذك ترين الآن كيف يهمني ان أجد فلورنس ستار .

– نعم أدرك ذلك ، ولكن المسكينة ترفض الافضاء بكلمة واحدة حتى اليك أنت لأن الخوف يكاد يقتلها .

– ولكن سلامتها تقتضي ان تصارحني بما تعلم . فإنها اذا كانت على صواب ، وكان الرجل الذي تعرفه هو القاتل حقاً ، ظلت معرضة لأشد الأخطار ، ما دام حراً طليقاً ، أما اذا قبض عليه فلن يستطيع أن ينالها بأذى .

– إنها أبت أن تستمع الى نصيحتي بالذهاب الى ادارة البوليس واطلاعهم على ما تعلم لفرط خوفها .

– هذا طبيعي . فقد لا تكفي شهادتها وحدها لاعتقاله فينتقم منها . لكنها اذا أظهرتني على ما عندها من المعلومات استطعت أن أستجمع من الأدلة ما يكفي للقبض على القاتل .

ومتى عرف المجرم ، كان إثبات التهمة أيسر كثيراً من التخبط في الظلام .

– ان حديثك مقنع .. ولكن ألا تعتقد حقاً ان فلورنس ستار تعرض نفسها للخطر ، بالاعتراف لك بسرها ؟ انها تثق بي كل الثقة .

رد مون :

– أتركي الحكم لها . انك تعرفين مكانها ؟

– نعم . أعرفه .

– اذهبي اليها اذن وانقلي لها ما قلته لك ، فإذا رضيت مقابلتي ذهبت لزيارتها معك هذا المساء .

– عد الى هنا ، هذا المساء .. فإذا وافقت على مقابلتك ،

أخذتك اليها

وعاد مون الى بيته فاستقبلته مشكلة جديدة . لقد تمكن سجين القبو أخيراً من الهرب !

كانت قصة هرب السجين في غاية السهولة والبساطة .

فقد طلب الى جو أن يأتيه بقليل من الماء ، فلما عاد بالماء وفتح باب الغرفة ، لم ير السجين . اذ انه توارى وراء البـــاب فيما يظهر ، وعاجله بضربة صرعته .

فقال ماركوس وهو ينظر الى مون في قلق :

– وقد وجدت جو طريحاً على الأرض ، والباب مفتوحاً على مصراعيه ، وباب البيت مفتوحاً كذلك

رد مون متجهماً :

– لا بد لنا من العثور عليه . ان العثور على فلورنس ستار ضروري لجلاء جريمة ، ولكن العثور على هذا المجنون ضروري للحيلولة دون وقوع جريمة أخرى .

رد جو :

– سأتكفل بالعثور عليه ، لا لأني مكنته من الهرب ، بل لأني أعرف أين أجده . انه شديد المكر والدهاء ، وسيتخذ لنفسه مخبأ في أحد الفنادق الرخيصة . واني أعرف هذه الفنادق جميعها كما أعرف من يديرونها .

وكان رذاذ المطر يتساقط عندما قصـــد مون بيت لورا كين ، وقد استحال بشره عبوساً ، ومرحه انقباضاً .

وضاق صدره ، بما تبثه الأقدار ، في طريقه ، من العقبـــات والصعاب .

فها هي امرأة قد قتلت ، وأخرى تختفي حذر الموت ، ومجنون خطر

يهيم على وجهه بالمدينة في طلب عدوه اللدود

لكنه وجد عند لورا كين. ما أذهب بعض همه وانقباضه اذ أعلنت اليه فلورنس ستار مقابلته .

وسارا معاً في تيه من الشوارع المظلمة ، حتى بلغا بيتاً عتيقاً تؤجر غرفه مفروشة .

فارتقيا سلماً متهدماً الى الغرفة الخلفية بالطابق الثالث ، وأخذت لورا تقرع الباب قرعاً خفيفاً دون ان تسمع جواباً .

وهمس مون في قلق :

– أيمكن ان تكون قد خرجت ؟

فهزت لورا كين كتفيها قائلة :

– انها لم تغادر هذه الحجرة ، منذ حلت بها ، وهي تعلم أننا قادمان .

وعادت تطرق الباب في شيء من الشدة ، وقد شحب وجهها ، وبدا عليها الاضطراب .

لكنها لم تظفر بجواب

ووقفا لحظة في حيرة وذهول ثم قالت لورا :

– انتظرني هنا لحظة .

وهبطت السلم في خفة ، إلى الطابق الأول ، حيث قرعت باباً آخر .. وبعد هنيهة ، سمع جون مون حديثاً بينها وبين صاحبة البيت :

– إني صديقة مس أدامز ، ولا ريب انك تذكرينني .. لقد جئتها ببعض الثياب ، ولكنها ليست بالغرفة . فأرجو أن تعيريني مفتاحك ، لكي أضع الثياب على فراشها ، ثم أعيده اليك .. شكراً .

وسمعها ترقى السلم ثانية ، فأعجب بذكائها وسرعة خاطرها . وما لبثت ان قدمت له المفتاح فأداره في القفل ودفع الباب في رفق وتقدم في الحجرة على أطراف أصابعه ، ولكنه ارتد في الحال ووضع يده على فم لورا كين ليمنعها من الصياح .

كانت الغرفة الضيقة في ظلام دامس إلا من ذلك الضوء الخافت الذي يتسلل من الباب .. بيد ان ذلك الضوء الخافت كان كافياً لكي يتبينا الشبح المعلق بالسقف في وسط الغرفة

الفصل الخامس

قال مون همساً :

– حذار أن تخرجي أي صوت ..

ثم تحسس الحائط باحثاً عن الزر الكهربائي ، وبعد أن أغلق الباب عليهما أضاء النور فأبصرا جثة فلورنس ستار – معلقة في سقف الغرفة بحبل حريري من حبال ثياب الحمام

– يا إلهي لقد دفع الفزع بالمسكينة إلى قتل نفسها ..

قال مون :

– لا أظن ذلك ..

وراح يتفحص الجثة دون أن يمسها !

فرأى الحبل الحريري الزاهي معقوداً من الخلف في مهارة ، ودار إلى الناحية الأخرى

ثم قال ·

– انظري إلى هذا .

وأشار إلى كدم صغير جداً بأعلى أحد الصدغين ، ثم قال :

– كلا ، لم تقتل نفسها ..

فامتقع وجه كلارا وهي تهتف في ذهول :

– مقتولة !

– إن في الأمر جريمة بلا ريب ، فما كان في وسعها أن تعقد الحبل على هذا النحو من الخلف فضلاً عن هذا الكدم ، واعتقادي ان القاتل سدد اليها ضربة أفقدتها الوعي قبل أن يشنقها ..

– سحقاً له .. لا ريب انه اهتدى اليها !

– نعم .. والآن سأعطيك رقم تليفون شخص يدعى دونوفـــان ، وهو بوليس سري خاص ، فأخبريه بموجز ما حدث واطلبي اليه أن يوافيـك بمكان قريب من هنا ..

وبعد أن ُطفأ النور أغلق باب الغرفة جيداً وقادها إلى الشارع ، فلمـا ابتعدا عن البيت وقف قائلاً :

– ليس في وسعي يا مس كين أن أعرب لك عما يخالجني من التأثر والأسف فإني لاعلم انها كانت صديقتك الحميمة ..

– انها كانت أعز صديقاتي .

وما كاد يعطيها رقم دونوفان حتى اختفى في الظلام ، فذهبت كين إلى مخزن أدوية . وكانت رسالتها إلى دونوفان مختصرة :

– انا لورا كين ، صديقة فلورنس ستار ، لقد قتلت وطلب مني جون مون أن أستدعيك بدلاً من رجال البوليس .

فسألها دونوفان .

– وأين أنت ؟

وما كادت تنبئه باسم مخزن الأدوية حتى كان في طريقه اليها ، والفاهـا منطوية على نفسها في ركن المخزن وهي فريسة للحزن والأسى ، فبدأ ببضع عبارات على سبيل التعزية والمواساة ، وقصت عليه وهما في طريقهما إلى غرفة القتيلة قصتها مع جون مون .

ولما بلغا الغرفة التي عليها دوفان نظرة سريعة ، ثم سأل كلارا :

- هل يوجد بالبيت تليفون ؟
- نعم . في نهاية الردهة
- شكراً ، سأذهب الآن لاخطار البوليس ، وسيكون أمامي بعد ذلك متسع من الوقت للبحث والاستقصاء .

وعاد إلى الحجرة ، بعد أن اتصل بالمفتش جاريتي ، والصحفي توم كلارك .

ثم قال لها :

- يجب أن توقظي صاحبة البيت وتخبريها بما حدث ، وإذا اتى رجال البوليس ، فلا تقولي لهم كلمة واحدة عن الشخص الذي كان معك ، وإلا أحدثت له ولنفسك كثيراً من المتاعب ؛ ولتكن أقوالك قاصرة على انك اتيت لزيارة صديقتك فوجدتها ميتة ، وانك بادرت باستدعائي لأنك تعرفينني من قبل .

ثم انصرف الى فحص الغرفة . .

كانت فلورنس ستار مرتدية بيجامة فاتحة اللون ، وعلى وجهها آثار أصباغ ثقيلة .

كما أنه بالفراش والوسادة من الثنايا ما يدل على أنها كانت راقدة في سريرها .

بيد أن موقع الكدم الذي يعلو صدغيها ، يدل على أنها لم تكن راقدة عندما أصيبت بالضربة ، ولعلها كانت قد نهضت تلبية اطرق على بابها ، وهي تظن الطارق صديقتها لورا كين ، إذ أنه لم يكن يعرف مكانها سواها .

فلما فتحت الباب عوجلت بتلك الضربة ، قبل أن تتمكن من الحركة أو الصياح

على هذا النحو حدثت الجريمة بلا ريب .

وجلس دونوفان على المقعد في الانتظار . .

واتت لورا بعد لحظة قائلة :

– إن صاحبة البيت غير موجودة ، وربما تكون قد ذهبت إلى إحدى الحانات القريبة .

وظلا ينتظران مجيء رجال البوليس صامتين ، فلما اقبلوا كانت لورا في موقف لا تحسد عليه ، إذ راحت تعيد قصتها مراراً وتكراراً ، وتجيب عن سيل منهمر من الأسئلة .

وازداد دونوفان إعجاباً بذكائها وبسالتها ، فقد كانت تعاني حزناً ممضاً لفقد أعز صديقاتها ، وترهق بكثير من الأسئلة المحرجة الدقيقة ، وهي مضطرة إلى إخفاء جزء من الحقيقة لأسباب لا تفهمها ، ومع ذلك فانها لم تتلعثم مرة واحدة .

وانتهى الأمر أخيراً ، فصحب دونوفان لورا إلى بيتها .

ثم انصرف إلى بيته مستغرقاً في التفكير ، وقد نال منه التعب كل منال ، وما كاد يفتح باب مسكنه حتى استقبلته الخادم مادلين قائلة :

– هنا شخص في انتظارك يا سيدي ، ولقد كرهت إدخاله لرثاثة هيئته ، ولكنه قال ، انه يريد مقابلتك لأمر هام ، وانك ستسر برؤيته ، وهـا هو بالمكتب ..

وأدرك دونوفان لأول وهلة ، أن زائره هو ليون مارتيلي ، وان كان لم يره قبل ذلك قط ..

* * *

كان منظر الراقص الشاب يستدر الشفقة والرثاء ، وقد بدا كأنه حرم من النوم والطعام اسبوعاً كاملاً ..

وبعد أن جاءه دونوفان بطعام ..

قدم اليه سيجارة وسأله :

– ماذا صنعت بنفسك ؟

أجاب مارتيلي متكلفاً الضحك :

– لقد كنت كمن يتقلب على الجمر ، انني كنت مختفياً منك ومن البوليس ، وليس هذا بالأمر اليسير إذا كنت مفلساً لا تملك ما يسد رمقك ، والناس جميعاً يعتقدون انك قاتل أثيم .

– ولكن لماذا حاولت الاختفاء ؟

– لأني اعتقدت انني متهم بالقتل ، وهو أول ما خطر لي عندما ولجت تلك الغرفة فألفيت دوروثي جثة هامدة ..

فسأله دونوفان في صوت رقيق :

– حدثني بقصتك كلها من أولها .

– إنك واقف فيما أرجح على مسألة السوارين ؟

فأومأ دونوفان بالايجاب .

واستطرد الشاب قائلاً :

– لقد كنت أرى دائماً الحذر من خادمة دوروثي اللعينة ، ولو سارت الأمور في السبيل التي قدرناها لكانت خطة بارعة :

قال دونوفان في هدوء :

– اني استنكر العيش على حساب النساء ..

فأجاب مارتيلي :

– واني لاستنكره كذلك ، ولكن لم يكن لي عنه معدى ، فلقد كنت حدثاً صغير السن عندما فزت في مسابقة رقص باحدى الصالات الكبرى ، وكنت أعمل إذ ذاك كاتباً باحد مخازن الأحذية الرخيصة ، ثم لقيت فلورنس ستار ، وكانت فتاة صغيرة وراقصة بارعة ، فاتحدنا معاً في العمل ، ونجحنا

نجاحاً لا بأس به ، إذ كنا نفوز بكثير من الجوائز المالية في مسابقات الرقص ، ونقوم بعرض رقصاتنا في بعض المراقص والحانات الصغيرة ، ولم يكن يعكر صفونا سوى كثيراً من السيدات كن يرغبن الى المدير في مراقصتي .

وقال دونوفان .

– وما كان هذا ليروق فلورنس ستار طبعاً ؟

– أجل . ولكننا ظللنا على ذلك بضع سنين اختلف علينا أثناءها اليسر والعسر وحدث في فترة من فترات الضيق والاملاك أن تمكنت من الالتحاق بحانة « البجعة الحمراء » كراقص محترف ، فعملت على حمل المدير على الحاق لورنس بصالة العرض ، وهناك تعرفت بدوروثي .

فسأله دونوفان :

– ومتى تعرفت بها ؟

– منذ سنة تقريباً ، ولقد همت بها في أول الأمر كما هامت بي ، ولكن تلك العاطفة لم تلبث أن خبت ، ثم أخبرتني ذات يوم بالرسالة التي تلقاها زوجها من ذلك المجنون الذي يرمز إلى نفسه بالحرف « ن » ، فخطر لي أن أستغل تلك الفرصة للفوز بغنيمة ضخمة .

وكان في نيتي أن أحمل فلورنس على نبذ عملها بالحانة واقترن بها ، وفي اليوم المعين لحصولي على السوارين تلقيت رسالة من دوروثي بموافاتها في مكان آخر ، وهي رسالة أعرف الآن أنها كانت مزورة ، ولما طال بي الانتظار عبثاً ساورني الخوف .

فأسرعت إلى ملتقانا القديم ، ولك أن تتصور ما نالني عندما دخلت ، لم أقف حتى لأبحث عن السوارين ، بل غادرت البيت مسرعاً إلى مسكني حيث أخذت ما كان لدي من نقود قليلة وبادرت إلى الفرار ، إذ علمت من أول وهلة انني سأتهم بقتلها ..

ووقف قليلاً ريثما تمالك نفسه ..

ثم استأنف روايته قائلاً :

— ولقد استبد بي الخوف ، وضاعف من انزعاجي اني قرأت بالصحف في اليوم التالي ، ان رجال البوليس يبحثون عني وعن فلورنس ستار ، ولم اكن أعلم إذ ذاك صلتها بالحادث ..

ولقد كنت أنام بحظيرة فحم كما ينبئك مظهري ، وطفقت أحوم حول محطة الأوتوبيس عسى ان تسنح لي الفرصة لمغادرة نيويورك دون أن ينتبه الي أحد ، وإذا بي أرى فلورنس ستار ..

ولم أجرؤ على استلفاتها ، ولكني تبعتها الى بيت قذر صغير ، وارجأت الذهاب لمقابلتها حتى الليلة .

فسأله دونوفان فجأة :

— وهل رأيتها الليلة ؟

— نعم رأيتها ، وقد أخبرتني أنها تعرف قاتل دوروثي ولكنها تخشى أن تصرح باسمه ، ولم تكن تخشى رجال البوليس بل القاتل نفسه ، وأخيراً كتبت كل ما لديها من المعلومات في رسالة أرسلتها الي بعنواني القديم لكي آخذها إلى إدارة البوليس لتبرئة نفسي ، مسكينة ! لقد كانت في أشد الخوف والرعب .

قال دونوفان :

— وكانت على حق في خوفها فلقد ماتت .

فحملق فيه الشاب مبهوتاً وقال :

— اتعني انها قتلت ؟

وقص عليه دونوفان حوادث المساء ، بعد حذف ما يختص بجون مون ثم سأله :

— متى رأيت فلورنس ستار ؟

ففكر مارتيلي قليلا ثم أجاب :

– لقد غادرتها حوالي الساعة السادسة والنصف ، لماذا ؟

– لأني ظننت انك ربما كنت آخر من رآها حية ، ولكنك لم تكن كذلك ، فقد كانت لورا كين عندها حوالي الساعة السابعة وتركتها ، ثم عادت فألفتها ميتة . على أني لا أعرف شخصاً آخر يعلم بمكانها سواك أنت ولورا كين .

– لعلك لا تعني انني قتلتها ؟

– كلا ، لأني أعرف انك لم تقتل دوروثي هيمرز ، وإن لم يكن في وسعي أن أخبرك كيف أعرف ذلك .

– ومن الذي قتلها ؟

– لا أعلم ، ولكني أرجو أن أقف على ذلك عندما أحصل على الرساله التي كتبتها فلورنس ستار .

فوقف مارتيلي وهو يترنح من فرط التعب وقال :

– يبدو لي أن خير ما أفعل هو أن أسرع إلى مسكني ، حيث اغتسل وأغير ثيابي وأستمتع بالنوم في فراشي ثم أحضر اليك بالرسالة .

ووافق دونوفان على هذا الرأي ، إذ كان خائر القوى يشعر بالحاجة الى النوم .

وقلما كان دونوفان يتأخر في النوم ..

بيد انه في صباح اليوم التالي ظل نائماً إلى ما بعد الساعة التي تعود أن يستيقظ فيها .

فلما استيقظ كان أول ما فكر فيه هو مارتيلي والرساله الموعودة .

وسرعان ما وثب من فراشه وارتدى ثيابه ، إذ كان من الحكمة أن يفد الراقص الشاب في أية لحظة .

بل لقد تأخر في الواقع بعض التأخير .

وأرسل في طلب جرائد الصباح ، وراح يتصفح ما كتبته عن العثور على جثة فلورنس ستار .

ثم وضعها جانباً ، ونظر في الساعة ، فإذا بالصباح قد مضى اكثر من من نصفه دون أن يأتي مارتيلي .

ثم قرع جرس الباب ، فأسرع اليه بنفسه ، وهو يكاد يثب وثباً ، غير انه الفى أمامه الصحفي ، توم كلارك ، فبدت عليه امارات الخيبة والفشل . .

وقال الصحفي الشاب :

– خليق بك ان تدعوني للدخول ؟ أجل انه يبدو لي انك تنتظر شخصاً أحب اليك مني ، ولكن .

وقال دونوفان :

– ادخل يا توم ، هل تناولت طعام الافطار ؟

– منذ وقت طويل جداً ، لا مانع من احتساء قدح من القهوة .

وطلب دونوفان الى الخادمة أن تحضر القهوة .

ثم أشار الى زائره بالجلوس وأخذ ينظر من النافذة في قلق . . وقال بعد هنيهة :

– اكبر ظني ان الزائر الذي انتظره سيثير اهتمامك .

– من هو ؟

– ليون مارتيلي .

وأخذ يروي للصحفي ما قصه عليه مارتيلي بالأمس وقال :

– لن انتظر بعد ذلك ، وسأذهب الى منزله ، فهل تحب أن تأتي معي ؟

وقصدا من فورهما إلى مسكن مارتيلي حيث أخذا يقرعان جرس الباب عبثاً . .

وأخيراً استدعى دونوفان صاحبة البيت . .

فقالت : انه ليس بمسكنه .

فانقبضت أسارير دونوفان وسألها :

– هل تعلمين متى خرج ؟ انه تخلف عن موعد معي .

– أظنه خرج في الساعة السادسة ، لقد جاءته رسالة بالبريد الخاص ، ثم خرج ، وقابلته في الردهة ، فأخبرني أنه لم يستطع النوم ، ولم أره بعد ذلك .

وراح دونوفان وتوم كلارك يتبادلان نظرات اليأس والقنوط .

لقد اختفى ليون مارتيلي ثانية ؟

* * *

لم يتبادل الصديقان كلمة واحدة أثناء عودتهما ، حتى أغلق عليهما باب المكتب .

ووجد دونوفان في انتظاره ظرفاً كبيراً كتب عليه عنوانه بالحروف الواضحة المائلة .

وقبل أن يفضه تناول من أحد الأدراج رسالة « ن » الأولى وقدمها إلى توم كلارك قائلا :

يحسن بك أن تقف على القصة بأكملها ، فاقرأ هذه لكي أعرف رأيك فيها .

ثم فض الظرف وراح يقرأ الرسالة الجديدة :

« عزيزي دونوفان ..

أخشى أن يكون موت فلورنس ستار نتيجة إهمالي وسوء تقديري .

فلو استجبت لرغبتي في اقتفاء أثر لورا كين إلى غرفة فلورنس ستار وقابلتها دون تمهيد أو تقديم لكانت المسكينة الآن حية ترزق

أفيمكن بعد ذلك أن يكون ثمة أدنى شك في أن الرجل الذي ضرب فلورنس ستار ضربة أفقدتها الوعي ثم خنقها بحبل ثوب الحمام الخاص بها هو نفس الشخص الذي اقترف الجريمة الأولى التي تشبهها من كل وجه !

لقد حاولت أن أهتدي إلى شخص كان يعرف فلورنس ستار كما يعرف دوروثي هيمرز فلم أجد أحداً . سوى مارتيلي طبعاً .

هل فكرت في الكدم الذي بأعلى صدغ فلورنس ستار ؟ لقد أحدثه جسم صلب محفور أرجح أنه مقبض عصا منقوش .

فمن من الأشخاص الذين يحملون عصا ذات مقابض معدنية كان يعرف فلورنس ستار أو دوروثي هيمرز ؟

إن لوسيوس أبرناذي وجنتر وأرثر فورستر ، ورنزو هيمرز يحملون جميعاً عصياً ذات مقابض معدنية .. وجميع هؤلاء الأشخاص كانوا يعرفون دوروثي هيمرز ، ولكن ثمة ما يحمل على الاعتقاد بأنهم كانوا يعرفون فلورنس ستار .

ومن عادة أحد المعجبين بفلورنس ستار ، ويدعى دوغلاس بريسكوت أن يحمل عصا .

ولكن ليس ثمة ما يحمل على الاعتقاد بأنه كان يعرف دوروثي .

أما ليون مارتيلي الذي كان على اتصال بالمرأتين ..

فقد كان يحمل في بعض الأحيان عصا خفيفة من عصي الزينة ، لها مقبض من المعدن المنقوش .

المخلص

« ن »

وأعطى هذه الرسالة ايضاً إلى توم كلارك ..

وجلس يفكر في محتوياتها .

وقطع عليه تأملاته توم كلارك إذ وضع الرسالتين جانباً وقال :

- اني أميل إلى الاعتقاد بصدق هذا الرجل ، فما الذي تنتوي عمله ؟ أما رأيي الخاص فهو التعاون معه .

فأجابه دونوفان :

- هذا هو ما أفعل تماماً .

وصارح الصحفي بما يجول في خلده عن مارتيلي ..

وقال توم كلارك :

- هذا ممكن ، ولكن ..

ولم يتم عبارته .. إذ دق جرس التليفون ..

فتناول السماعة .. ولم يلبث أن سمع صوت المفتش جاريتي قائلاً :

- لقد ظهر ليون مارتيلي يا دونوفان .

فكاد فؤاد دونوفان يطفر من بين جنبيه لهفة ..

ثم سأل :

- أين هو ؟

- انه بمعرض الجثث ، فقد نقلناه اليه الآن ، فهلا لحقت بي ؟

وكان أول ما سأل عنه دونوفان عند وصوله إلى معرض الجثث :

- ألم تجدوا معه رسالة أو شيئاً كهذا ؟

فهز المفتش جاريتي رأسه قائلاً :

- لم نجد معه شيئاً فقد كانت جيوبه مقلوبة ، ومع انه لم يضع شيء من نقوده ، فقد فتش تفتيشاً دقيقاً .

- واين عثرتم عليه ..

- في زقاق غير بعيد عن مسكنه . وقد عثر بعض الناس على الجثة هذا الصباح ، وابلغوا البوليس ، فنقلت إلى معرض الجثث حيث تعرفنا عليها .

- وكيف قتل ؟

- ضرب بآله صلبة اولاً ، ثم خنق .. خنق بربطة رقبته .

وصمت لحظه ثم تابع قائلاً :

- ومما يبعث على الضحك حقاً ان سيارة داست جثة المنكود فيما يبدو ، فإن قدميه محطمتان وليست بهما عظمة سليمة !

غمغم دونوفان متأثراً :

- مسكين هذا الراقص الشاب !

ثم كرر من جديد في صوت كالهمس :

- ليست معه اية رسالة !

فحملق فيه المفتش جاريتي قائلاً :

- اكنت تتوقع ان تجد رسالة تنبئك كيف قتل ومن قتله ولماذا ؟

اجاب دونوفان متجهماً :

- اني اعلم كيف قتل ولماذا .

وقال جاريتي ساخراً .

- وكذلك اعلم انا كا يستطيع ان يعلم ، كل من يعنيه ذلك ، انك لتكتمني كثيراً من الأسرار يا دونوفان .. فقد كنت في اثر فلورنس ستار ، دون ان تخبرني ، وكنت تعلم مكان ليون مارتيلي ولم تطلعني عليه .

- لم اعلم مكان فلورنس ستار حتى انبئت بمصرعها .. واني اعترف بأنه كان ينبغي أن اخبرك بمجرد ظهور مارتيلي في الليلة الماضية ، ولكني اؤكد لك ، انه كان في عزمي ان اذهب به اليك بمجرد حضوره هذا الصباح .

فقال جاريتي مهتاجاً :

- إن هذا الشقي « ن » فيما أرجح ، يمرح في المدينة بين سمعنا وبصرنا .

لم يحر دونوفان جواباً . إن أمر « ن » مؤجل إلى ما بعد حل معميات جرائم القتل .

فإذا ما أصبح القاتل في قبضة رجال البوليس ، بطل الاتفاق المعقود بينه وبين « ن » وصار حراً في مطاردته .

ولما خرج دونوفان وتوم كلارك إلى الشارع ، نظر توم إلى صاحبه ثم إلى حانة في الجانب الآخر من الشارع وقال :

ــ ألا ترى ان نحتسي كأساً ونتشاور أثناءها في الأمر ؟

فسار معه دونوفان ، دون اعتراض ، وهو مستغرق في أفكاره . ولما استقر بهما المقام قال توم كلارك :

ــ إن الطريقة التي اتبعت في خنق دورثي هيمرز وفلورنس ستار وليون مارتيلي تدل على ان قاتل الثلاثة واحد .

فأجاب دونوفان :

ــ ولكننا لا نعرف الباعث على قتل دورثي هيمرز . إن فلورنس ستار قتلت لأنها تعرف شخصية القاتل . أما مارتيلي ..

وقاطعه توم كلارك قائلاً :

ــ لا بد ان القاتل رآه يزور فلورنس ستار .

وصمت هنيهة مفكراً ثم استطرد يقول :

ــ ولقد كان لديه الف فرصة وفرصة لقتله ، ما بين مغادرته بيت فلورنس ستار ، وهذا الصباح .. فلماذا انتظر هذا الزمن الطويل ؟ لماذا تركه يزورك ، وقد كان من المحتمل ان يفضي اليك بالسر كله ؟

ــ ليس لهذا التأخير غير تعليل واحد ، هو ان القاتل واقف على أمر الرسالة كان يعرف أنها في طريقها إلى مارتيلي ، فتريث في الفتك به حتى تصل اليه .

وقد يكون رأى فلورنس ستار وهي ترسلها بالبريد ، أو لعله كان مختبئاً عند بابها فسمعها وهي تحدث عنها مارتيلي .. ولا ريب انه علم حين ذاك ان الفتاة بعثت بالرسالة قبل زيارة مارتيلي لها ، ومن الممكن ان يظن أنها أفضت اليه بسرها في تلك الزيارة . فإذا كان قد رأى مارتيلي يأتي إلى مسكني وينفق عندي شطراً من الليل ، فسيفهم فيما أرجح ان مارتيلي أخبرني بذلك السر .

وأخذ الصديقان يتبادلان النظرات صامتين .

ثم أردف دونوفان :

— انشر قصة هذه الرسالة كاملة تحت أضخم العنوانات بالصفحة الأولى ، ولا تحذف شيئاً من التفاصيل ، بل اذكر كيف أرسلتها فلورنس ستار إلى مارتيلي بالبريد ، وكيف قتل وهو في طريقه ليسلمها إلي .

وأهم ما يجب ان تظهره في أشد الوضوح والجلاء هو ان مارتيلي لم يكن يعرف محتويات الرسالة واني لا أزال حتى الآن أجهلها كل الجهل .

فقال توم كلارك وهو يفرغ كأسه :

— إن هذا ما كنت أفكر في عمله ، فليس مما يعزز هيبة القانون والنظام ان يوجد دونوفان مخنوقاً بحبالة بنطلونه !

وابتسم البوليس السري لأول مرة في ذلك النهار وهو يقول :

— ما أسرعك إلى قراءة ما تكنه الضمائر !

* * *

وثب المستر لوسيوس أبرقادي إلى مكانه من السيارة بوجهه المستدير

الأحمر يشرق بالابتسام ، فلقد أزاحت عن صدره عبئاً ثقيلاً كلمات قلائل مع دونوفان بالتليفون .

وأيقن الآن أن « ن » لن ينال منه منالاً ، إذا أودع عقد (ستار فلاور) ، بخزانة الودائع في المصرف ، وها هو العقد في جيبه ، وسيذهب إلى المصرف رأساً ، وبعد نصف ساعة ، يصبح العقد بأمن من الأحداث .

ولكن ليس هذا كل ما لديه من أسباب الرضا والاغتباط ، فقد جاءت بوبي هيمرز في الظهر لتناول الغداء ببيته ، ويا لها من فتاة أنيسة المعشر حلوة الحديث ! لقد أسر اليها أمر العقد ، فأبدت كثيراً من العطف والمجاملة .

إنها لطفلة غريرة ، مستعذبة العبث ، فلقد أقبلت وعلى رأسها (بيريه) بيضاء ، وفي يدها أخرى خضراء في كيس من الورق ، وقالت إنها لم تستطع ان تقطع برأي في تفضيل إحداهما ، فابتاعتهما جميعاً .

وبعد الغداء لبست (البيريه) الخضراء فجأة ، وانطلقت تهبط سُلّم المدخل في مرح ودلال ..

وكأنما لم يكفه كلمات دونوفان ، والغداء مع بوبي هيمرز ، فأبى سعد طالعه إلا ان يكون على موعد مع سكرتيرة ماك جي الشقراء الفاتنة في الساعه الخامسة .

وطالما هفا اليها وتمنى وصلها ..

وهكذا قر في مقعده وهو يعب هواء القطة حين يحس بالدفء ، وطلب إلى السائق أن يذهب به إلى المصرف ..

إن سائقه وليامز مخلص أمين ، وانه ليشعر بالراحة والاطمئنان وهو ينظر إلى ظهر معطفه الرمادي العريض .

فلا بد له من النظر في مكافأته .

وشعر بثقل لطيف في أجفانه .

لقد أسرف في الأكل ، إذ كان الطعام سائغاً شهياً ، وطرف بعينه مرة أو مرتين . .

نعم . إن النعاس يداعبه ، فإذا لم يقاومه استغرق في النوم وهو في السيارة . .

واعجباه !. إن السائق وليامز ، فيما يبدو ، لا يسلك الطريق المعتاد إلى المصرف .

وقد طلب منه دون ريب ان يذهب اليه مباشرة . .

إن النعاس يكاد يغلبه على أمره ، وها هو يرخي جفنيـه ثانية أو ثانيتين .

ثم فتحهما في جهد ومشقة ، فوقع بصره على المرآة التي بجانب السائق ولمح فيها وجه الرجل ، العاكف على عجلة القيادة . فإذا به غـير وليامز !

وهم أبرنادي بالصياح فخذلته قواه ، وتهافت على مقعده غائباً عن الصواب . .

ونظر السائق خلفه فلاحت على وجهه ابتسامة الاغتباط .

وزاد من سرعة السيارة قليلاً ، فانطلقت تلوي في تيه من الأزقة الضيقة حتى بلغت ممراً صغيراً للسيارات بين عمارتين شاهقتين ، فأوقفها السائق في نهايته .

وانتقل إلى جانب ابرنادي وأخذ يفتش جيوبه حتى عثر بالعقد فدسه في جيبه الداخلي .

ثم أخذ ، من تحت مقعد القيادة ، قبعة ومعطفاً استبدل بهما القبعة والمعطف اللذين استعارهما من وليامز ، ووضع تلك الثياب الرسمية بجانب

ابرنادي وهبط من السيارة بعد ان فتح نوافذها حتى لا يصاب الرجل بصداع لا موجب له .

وسار متمهلاً إلى الشارع كأنه لم يأت أمراً إذاً .

ولقد جرت الأمور على ما قدر ورسم تماماً ..

وكانت فكرة بوبي بارعة حقاً إذ ظل يراقب البيت عن كثب حتى ظهرت على السلم في « البيريه » الخضراء فعلم ان ابرنادي يعتزم الذهاب بالعقد إلى المصرف اليوم .

وكان من السهل ان يذهب بعد ذلك الى الجاراج حيث يكون وليامز وحده دائماً ، ويحبسه في مخزن صغير ويستعير ثيابه ، ثم يخرج بالسيارة ويقف بها في انتظار أبرنادي .

وهم بالهبوط الى السكة الحديد التي تسير تحت الأرض .

ولكن نزوة من نزوات الفضول ، حملته على العودة الى مقصف صغير يستطيع ان يشرف منه على الممر الواقفة به السيارة ، ويرى ابرنادي وهو يستيقظ بعد قليل ، ويكتشف سرقته ، ثم يصيح مستنجداً بالبوليس .

ولم يبق بعد ذلك ما يستحق المشاهدة

فدلف مون الى أقرب باب للسكة الحديد التي تسير تحت الأرض وأسرع عائداً الى بيته .

ولقيه ماركوس في مصنعه بالقبو .

وأخذ مون الصندوق الجلدي من جيبه والقى به الى الأعرج في غير اكتراث قائلاً :

— هناك .

وراح يلاحظ الأعرج في صمت وهو يفتح الصندوق ويخرج بين أصابعه العقد الذي كان يتوهج كأنه شعلة من نار ونور .

وسأله مون متبرماً :

– ما مقدار ما تستطيع الحصول عليه من بيعه ؟

ولكن ماركوس لم يسمع سؤاله ، بل قال في لهجة المستغرق الذاهل :

– ليس في العالم كله سوى ثلاثة عقود من هذا النوع .

– لك أن تتأمله وتتحسسه ما شئت ، ولكن اذكر دائماً انه يجب تجزئته وبيعه بالوزن . حذار ان تشغف به .. اليس من نبأ عن الهارب ؟

– لا شيء . ان جو لا يزال يطوف بالفنادق والبنسيونات الحقيرة دون ان يعثر عليه .

قال مون متجهماً :

– يجب ان نعثر عليه يا ماركوس . يجب ان نعثر عليه قبل ان يصل الى الشخص الذي يبحث عنه .

* * *

تنهد دونوفان في ضيق وضجر ، إذ أعلن اليه مساعده بيلي أن المستر والاس جنتر هو أحد السبعة ، الذين أفادوا من الكارثة المالية الشهيرة .

كان جنتر أشد أصحاب الملايين تقتيراً وشحاً

وكان يعيش مع أخت عانس ، في منزل متواضع ، صغير قديم ، يذهب منه إلى مكتبه كل صباح بالسكة الحديد ، التي تقود تحت

الأرض .

وكان شحه مضرب المثل وموضوع التفكه والتندر ..

وكان دونوفان يتوقع منذ سنين ان يسمع ذات يوم بأنه وجد مذبوحاً بأحد الأزقة وقد سرق منه مبلغ ضخم .

إذ كان من عادته ان يحمل كثيراً من الودائع الثمينة وهو يأبى ان يستأجر حارساً خاصاً ليحرسه في غدواته وروحاته .

ودخل والاس جنلر ..

وكان ناحل الجسم ، بادي العظام ، كأنه لم يذق الطعام منذ دهر طويل .

وابتدر دونوفان قائلا :

– لن أدفع اليك مليماً واحداً .. فما جئت ، الا تلبية لرغبة رنزو هيمرز ، لعلك تفيد من قصتي ما تستعين به في المسألة التي عهد اليك بها .

فأجابه دونوفان في برود :

– ما كنت لأحلم بالحصول منك على سنت واحد .

ماذا حدث ؟

وكانت قصته سهلة موجزة .

فقد كان يصعد الى القطار الذي يسير تحت الأرض وقد اشتد من حوله الزحام ، وفي يده حقيبة عادية ، بها من الودائع الثمينة ما يقدر بمبلغ ضخم .

واذا برجل يندفع خارجاً من المركبة ماراً به ، ثم يختطف الحقيبة من يده ويسرع على الرصيف .

وفي تلك اللحظة ، أغلقت أبواب المركبات ، وتحرك القطار للسير .

فلما وقف بالمحطة التالية وأبلغ جنتر الحادث الى البوليس ، كان الرجل قد اختفى ولم يترك أثراً .

فهز دونوفان كتفيه قائلا :

قصة ممتعة ولكني لا أرى لي شأناً بها .

ولكن جنتر قدم اليه ورقة رثة ، مكتوبة بذلك الخط الواضح المائل ..

وقال انه تلقاها بالبريد ، ولكنه لم يعرها اهتماماً ، لكثرة ما يتلقى من أمثالها .

وظل دونوفان بمقعده ، مستغرقا في التفكير ، بعد انصراف جنتر بوقت طويل .

من هو جون مون ؟

ولماذا يذيل رسائله بأحرف « ن » ؟

لقد استعرض أحوال كل من جرت عليهم الكارثة المالية ، الخراب والدمار ..

فلم يجد فيهم من يمكن ان يكون ذلك الشخص المجهول ، وان كان المنطق يجزم بأنه لا بد ان يكون واحداً منهم .

أما اذا كان هذا الشخص بعيداً عن الكارثة وآثارها ، وإنما رأى ما أحدث اولئك اللصوص من الشر والاذى ، فآلى على نفسه الانصاف منهم لضحاياهم التعساء ..

فهيهات ان يهتدي اليه دونوفان ..

والفى دونوفان نفسه يعجب من جديد كما عجب مراراً من أمر جون كازاليس ويتساءل عما حدث له .

انه ميت على الأرجح ، ولكن من الممكن ان يكون على قيد الحياة ، وان يكون هو جون مون .

أيمكن الاهتداء الى حقيقة ما حدث له ، بعد انقضاء هذه الفترة الطويلة ؟

أيمكن ان يكون ثمة من الآثار ، ما غفل عنه الباحثون عن جون كازاليس ؟

وقر رأيه فجأة على أمر من الأمور .

فغادر مكتبه ليتفحص من جديد ، الطريق الذي سلكه جون كازاليس ليلة اختفائه .

الفصل السادس

هبط دونوفان من القطار بمحطة لونج ايلاند ، وقد عاوده الشك في فائدة ما اعتزم القيام به من البحث ، فإنه ليقتفي أثراً قديماً قد يكون عفى عليه الزمن ..

واستقل سيارة الأجرة الوحيدة بالقرية إلى ضيعة هيمرز .

ووقفت به عند البوابة التي وقف عندها ، جون كازاليس منذ سبع سنوات .

وما سار قليلا في الحدائق الواسعة التي تحيط ببيت هيمرز ، حتى برز له البستاني من وراء سياج من الأغصان الملتفة ..

وقال :

– طاب يومك يا سيدي ، لقد أزعجتني ، وما كنت أتوقع أنَ أراك اليوم بهذه الحديقة .

فابتسم له دونوفان قائلاً :

– إني آسف على ازعاجك ولكني لم أحسب أن يكون وراء هذا السياج أحد يا هيو .

– أظنك تبحث عمن قتل مسز هيمرز المسكينة، ولكني لا أعلم ما الذي ترجو أن تجده هنا .

– لست أرجو أن أصيب من التوفيق في معرفة قاتلها أكثر مما أصبت في البحث عن مصير جون كازاليس .

– من العجيب انني تذكرت ذلك المتكورد وأنا أشذب الأعشاب النامية حول ذلك الحوض يا سيدي ، فلعلك تذكر أننا عثرنا هناك على أثر قدمه .

– ولكننا لم نفد من ذلك الأثر شيئاً .

وسار دونوفان بين المماشي وحياض الزهور .

ولا ريب ان جون كازاليس سلك هذا الطريق يريد المنزل ، ولا ريب انه اختفى بنقطة ما بين حوض الزهور الذي وجد عنده آثار قدمه ، وبين المنزل الذي لم يصل اليه قط ..

وبينما هو يجول في تلك المروج والحدائق الفيحاء ، رأى بيتاً صغيراً جميلاً له حديقة خاصة ، ولم يكن هناك من قبل ..

فقصد اليه مستطلعاً ..

وكانت بالحديقة طفلة سوداء الشعر في السابعة أو الثامنة من عمرها ..

فأجابت رداً على سؤال دونوفان :

– أنا إبنة توني سائق السيارة .

– وهل هذا بيتكم ؟

– نعم يا سيدي ، وقد ابتناه مستر هيمرز لأبي ، وعندما تكون الأسرة في نيويورك فلي أن أذهب حيث أشاء ، ما عدا الخليج الأسود ..

– الخليج الأسود ؟ وأين يقع هذا الخليج ؟

– ألا تعرفه ؟ انه هناك عند البحر ، وقد منعني أبي من الاقتراب منه ، لأن رجلاً هوى اليه من فوق الصخور فغرق ، وهو يخشى أن يصيبني مثل ذلك .

وفارق الطفلة بعد أن لاطفها قليلاً ، وقد أدهشه أن ينشىء هيمرز مثل هذا البيت الجميل لسائق سيارته ، وما عرف عنه قط الاهتمام بموظفيه

والحدب عليهم ..

وقصد إلى البستاني وسأله هل يعرف الخليج الأسود ..

فأجابه انه مكان بغيض لا يدنو أحد منه ، ويقال أن المهربين كانوا يستعملونه في الزمن الغابر لترسو به قواربهم ، وهو عند الطرف الأقصى للضيعة ..

سأله دونوفان :

– هل سمعت أن أحداً هوى اليه من فوق الصخور فغرق ؟

فتفكر البستاني قليلاً ..

ثم قال :

– كلا يا سيدي .. لم أسمع بذلك قط ..

تابع البوليس السري سيره نحو الشاطىء ، حتى بلغ مكاناً لم يشك انه (الخليج الأسود) ..

وما كان بالعسير عليه أن يفهم سبب هذه التسمية ، فقد كان المكان مؤلفاً من طائفة من الرؤوس الصخرية السوداء يمتد تحت سفحها شاطىء رملي ..

واكتشف دونوفان طريقاً خشناً مهجوراً نمت به الأعشاب الكثيفة الملتفة والأشواك يهبط إلى ذلك الشاطىء ..

وجلس على الرمل ورفع بصره إلى الصخور متفحصاً ..

وسرعان ما استلفت نظره بريق شديد ، إذ انعكس ضوء الشمس على شيء معدني في منتصف الطريق بقطعة كان قد انتزع منها نباتاً كثيف الفروع أثناء نزوله .

وعاد يصعد في ذلك الطريق الوعر حتى بلغ ذلك الموضع ..

فانتزع ما يكسوها من النباتات المورقة الكثيفة ، وإذا به يجد تحتها بين صخرتين .. مسدساً صغيراً ، يدل مظهره على أنه مرمي هناك

منذ عهد بعيد .

وأخذ دونوفان المسدس ، وما كاد يفحصه حتى أومأ برأسه كأنه يحيي صديقاً قديماً ..

لقد عرفه !.

* * *

لم يذهب جهد دونوفان سدى كما كان يخشى .. وجلس في مقعده الوثير يستعرض عمل اليوم السابق ويتروى فيه ..

لقد ثبت له ان المسدس الذي عثر عليه هو الذي كان يحمله جون كازاليس ليلة ذهب للقاء هيمرز للانتقام منه منذ سبع سنين ..

ومن الممكن أن يكون كازاليس هـــام على وجهه الى الخليج الاسود ، ووقع من تلك الآكام الصخرية إلى البحر في الظلام ، ففقد مسدسه أثنـاء وقوعه ، وقد يكون التيار حمل جثته بعيداً .

ولكن كيف يمكن ان يبعد كازاليس إلى هذا المدى ، مع انه كان قريباً من البيت في طريقه ؟

أيمكن أن يكون قد قتل وحملت جثته إلى الخليج الأسود حيث قذف بها من حالق ؟

إن هذا المسدس يخص جون كازاليس بلا ريب ، وقـد يكون السائق توني على علم بضياعه ، فحظر على ابنته الصغيرة الذهـاب الى الخليج الأسود لئلا تعثر به .

أجل ، إن هذه البقعة خطرة على الطفلة ، ولكنها ليست أشد خطراً من غيرها من المرتفعات المتناثرة على الشاطىء ، والتي لم يمنع الطفـــلة من

التجول فيها ..

ولقد قال لها ان رجلا وقع من الصخور فمات ..

ولكن البستاني هيو لم يسمع بمثل هذا الحادث قط .. ومما يستحق النظر والتفكير أيضاً ذلك البيت الذي بناه هيمرز لتولي ، وقد كلفه بلا ريب مالاً كثيراً ..

وإذا فرضنا ان توني قتل كازاليس ، فلماذا يفعل ذلك ؟

لقد كان هيمرز في اشد الخوف منه حقاً ، ولكن كان في وسعه أن يتصرف في شأن بطريقة غير القتل ..

وأحس دونوفان بالكلال والفتور .

وإذا بمساعده بيلي يحضر له رسالة وربطة صغيرة ، لم يكد ينظر فيما كتب عليهما حتى علم مصدرهما ..

كانت الربطة تحتوي على علبة صغيرة كعلب الحلى وظرف ، وفتح العلبة فوجد بها القطعة التي قصت من الحبل الذي خنقت به دوروثي هيمرز ، وفحصها فحصاً دقيقاً ، فوجد بقرب طرفها بقعة لزجة لم يلبث أن تبين انها من مربى البرتقال ، وان عليها بصمة اصبع واضحة ..

ثم فض الظرف فوجد به قطعة من الورق الأبيض عليها قطعة أخرى من الورق الشفاف .

ودقق النظر في الورقة البيضاء ، فرأى بها نفس البصمة على طبقة خفيفة جداً من المربى ..

وقرأ الرسالة بعد ذلك ، وكانت كما يلي :

« عزيزي دونوفان .

« كنت أحب ان ارسل اليك هذه الأشياء قبل اليوم ، ولكن ظروفاً تعرفها بلا ريب شغلتني عن ذلك ، ومن الممكن الاعتقاد بأن البصمة التي على حبل ثوب الحمام تركت عند قتل مسز دوروثي .

ولكن المقطوع به هو أن البصمة الأخرى تركت على قطعة من الورق بالغرفة التي كنت أشغلها عند وقوع الجريمة ، إذ انه لم يدخل تلك الغرفة سوى القاتل ..

وغني عن الايضاح ، ان القاتل مع حرصه الشديد على إزالة جميع البصمات والآثار لم يفطن إلى انه يضغط باصبعه على بقعة مربى بالحبل ، ولم يحفل بمسحها ، إذ لم يخطر على باله ان البصمات يمكن أن تظهر على حبل من الحرير ..

أما ترك بصمة اصبعه الملوث بالمربى على قطعة من الورق الأبيض بغرفتي فقد كان اهمالاً منه بلا ريب .

وقد حصلت على صور فوتوغرافية للبصمتين ، فلك ان تتصرف بهما على الوجه الذي تراه ، واني لأعرف صاحبيهما ، لا من البصمات نفسها ، بل من الشواهد التي عثرت عليها بأماكن الجرائم .

والبحث والاستقراء اجدى في رأيي من غيرهما من الوسائل .

فقد عرفت القاتل من نقطتين مستقلتين كل منهما عن الأخرى ، وانت تعرفها كذلك .

ولعلك تعلم اني على وشك الفراغ من مهمتي في نيويورك ، فإذا ما انتهيت منها فعلا بعثت اليك باسم الرجل الذي ترك تينك البصمتين وما هداني إلى معرفته .

المخلص

د ن ·

ودمدم دونوفان غضباً وهو يقرأ الاشارة إلى البحث والاستقصاء ، فانه ليستعرض الجرائم الثلاث نقطة نقطة دون ان يتبين فيها ما يدل على شخصية القاتل .

ثم كتب رسالة موجزة الى المفتش جاريتي مدعياً فيها ان البصمتين وردتا

اليه من مصدر مجهول .

وارسلها إلى مساعده بيلي ..

ولم يكد بيلي يخرج بالرسالة والبصمتين حتى دخل ماك جي ثائراً مهتاجاً وقص على دونوفان انه تلقى انذاراً بتوقيع « ن » فلم يحفل به ..

وحدث أن استدعيت وصيفة مسز ماك جي بالأمس إلى دوريت لأن اختها مريضة في خطر ، فطلب من وكالة موثوق بهـــا للتخديم أن ترسل خادمة مؤقتة .

وجاءت الخادمة فعلاً ومعها جميع أوراقها الشخصية وشهادات مخدوميها السابقين .

وفي المساء ذهبت أسرة ماك جي إلى أحد المسارح .

فلما عادت وجدت ان الخادمة قد اختفت ومعهـا معظم مجوهرات مسز ماك جي .

وأدهى من ذلك أن الخادمة الحقيقية التي أرسلتها وكالة التخديم حضرت بعد ذلك وأعلنت أنها خطفت وحذرت وتركت في غرفة بأحد الفنــادق الرخيصة .

ثم عادت وصيفة مسز ماك جي أيضاً وأعلنت أن أختها متمتعة بكامل صحتها .

وهتف ماك جي ساخطاً :

– وقد وجدنا هذا على منضدة الزينة الخاصة بزوجتي :

وكان « هذا » رسالة موجزة جداً :

« القيمة تسددت بأكملها » .

« ن »

كانت الخطة متناهية في البساطـة ، ولكنها تدل على أن جون مون له شريكة من النساء .

وقد وصفها ماك جي بأنها متوسطة الطول ، شقراء الشعر ، عادية المنظر ليس فيها ما يسترعي النظر .

* * *

شاءت الصدفة المحضة أن تكون مسز جيفورد والمستر أبرنادي شاهدين في جريمة قتل .

وتفصيل ذلك أن لورين جيفورد ذهبت إلى مكتب مستر هيمرز لبعض شؤونها المالية ، وعرض هيمرز أن يوصلها بسيارته إلى بيتها .

ولما كان لدى هيمرز بعض التعليمات يريد أن يدلي بها إلى موظفيه قبل انصرافه ، فقد سبقته مسز جيفورد إلى النزول ، على أن تنتظره في السيارة .

والتقت في الفناء بالمستر أبرنادي : ومكتبه بالعمارة نفسها ، فخرجا معاً إلى الرصيف وهما يتحدثان عما وقع أخيراً للمستر أبرنادي وضياع عقد ستار فلاور .

كانت الساعة الخامسة والرصيف مزدحماً بكتبة المؤسسات التجارية المنصرفين من أعمالهم .

لكن سيارة هيمرز كانت ظاهرة لمسز جيفورد وأبرنادي ، وقد جلس توني أمام عجلة القيادة .

بيد أنهما كانا مستغرقين في الحديث فلم ينتبها إلى ذلك الشخص الذي تسلل بين الجماهير إلى السيارة ، ولم ينتبها إلا على صوت الطلق الناري ، فالتفتا وإذا بهما يلمحان ذلك الشاب الأشقر ينفتل هارباً .

صرخت مسز جيفورد ، وركض أبرنادي على الرصيف صائحاً ، فالتفتت نحوهما الأبصار ، وتمكن الشاب من الاختفاء بين جماهير المارة .

وانقضت بضع دقائق قبل أن ترى مسز جيفورد السائق توني منكفئاً على عجلة القيادة ، والدم يسيل غزيراً على جانب وجهه ، فصاحت ثانية وخرت مغشياً عليها .

وبعد أن فرقت الجماهير ، أعيدت مسز جيفورد إلى الرشد ، ثم اجتمع شاهدا هذا الحادث الأليم ورتزو هيمرز والمفتش جاريتي ودونوفان بدائرة البوليس .

وكانت مسز جيفورد قد استردت حواسها تماماً فتمتمت :

– ذلك الرجل ، محال أن أنسى وجهه ، أليس هو آخر من رأيت قبل أن يغمى علي ؟ انه نفس الرجل الذي سرق لآلئي ، ومحال أن أنساه .

وقال أبرنادي ان شخصية الرجل لا محل للشك فيها على الاطلاق فقد سبق أن رأى وجهه في مرآة السائق عندما خدر بسيارته ، وسرق منه عقد ستار فلاور .

أما مستر هيمرز فلا يجهل سبب قتل سائقه الأمين ، ولا يساوره الشك في الباعث عليه .

لقد نجح في الاهتداء إلى مكمن ذلك الرجل الذي يرمز إلى نفسه بالحرف « ن » .

ووقف هيمرز عن الكلام قليلاً ليزيد في وقع حديثه في نفوس السامعين . ثم استطرد قائلاً :

– إنه وإن كان هذا يحز في نفسه ، فإنه قد رابه بعض تصرفات ابنته بوبي في العهد الأخير ، وخامره الظن بأن لها بعض الصلة بالمجرم ، فعهد برغمه إلى توني بمراقبتها من حيث لا تشعر ، وكان المرحوم لا يشق له غبار في مراقبة الحركات واقتفاء الآثار .

ورآها توني عدة مرات تذهب إلى ركن معين بأحد الشوارع حتى تأتي سيارة فتركبها .

واستطاع توني بعد ظهر اليوم أن يتتبع السيارة إلى وجهتها ، وهو يعرف هذا .. لأن توني اتصل بـه تليفونياً من هنـاك ، وان لم يخبره بموقع ذلك المكان .

وهنا سار دونوفان إلى النافذة ووقف ينظر منها ساهماً مفكراً ، وقد سقط في يده ولم يعد أمامه سبيل للتأويل والتدليل والتعليل أمام هذه الأدلة الحاسمة .

إن هذا الرجل « ن » سفاح أثيم !

وتهيأ الحاضرون للانصراف .

فدنا هيمرز من دونوفان قائلاً :

– أريد أن تصحبني إلى بيتي الريفي فسيكون هناك اجتماع لنـا نحن السبعة .. إن علينا أن نضع خطة للعمل ، وان نسرع كل الاسراع ، فقـد يكون أحدنا الضحية التالية .

وأومأ دونوفان برأسه صامتاً ، ان هيمرز لعلى صواب ..

لقد حان وقت العمل ..

في تلك الأثناء كان جون مون بالبيت العتيق يطالع في الصحف تفاصيل مصرع توني .

وكان يعلم أنه قد تقع جريمة أخرى ..

كما كان يعرف من يكون الضحية التالية .. ولكن ما الذي يستطيع عمله ؟

ليس في وسعه الذهاب إلى البوليس ، وليس في وسعه كذلك الذهاب إلى الضحية .

دونوفان ..

هذا هو مناط أمله الوحيد .

بيد انه قبل أن يضع خطته ، فوجيء بزيارة غير منتظرة .

وقرعت بابه بوبي هيمرز وهي لاهثة الأنفاس ، مشعثة الشعر ممتقعة الوجه .

* * *

وسألها مون :

- كيف عرفت هذا البيت ؟

فأجابته بوبي متضجرة :

- وهل كنت تتوقع أن أظل جاهلة عنوانك أيها الأحمق ؟ إن جو لم يكد يصل بي إلى البيت في المرة الثانية ، حتى وثبت إلى سيارة وتبعته إلى هنا .

- يا لك من فتاة ماهرة !

فأمسكت بذراعه قائلة :

- ليس هذا وقت الكلام ، يجب أن تغادر هذا البيت حالاً الآن .. في هذه الدقيقة ، فلقد سمعت أبي يخبر دونوفان في بيتنا اليوم ، أن توني اقتفى أثري إلى هنا .. وإذا كان قد قتل قبل أن يفضي اليه بموقعه فإنه واثق من الاهتداء اليه كما اهتدى توني ..

فرد مون في هدوء :

- فليحاول ، ثم ماذا ؟

- ان الرجال السبعة سيجتمعون الليلة في بيتنا الريفي لعمل لا أعرف ما هو .. ولكن ليس هذا كل ما عندي .

- الي بكل ما تعرفين .

- لقد شاهدت مسز جيفورد ومستر أبرفاذي مصرع توني وهما يقسمان انك قاتله . وأسوأ من ذلك لن دونوفان اقتنع بصدقهم

- وهل تعتقدين انني القاتل ؟
- لا أعلم ولا يهمني ان اعلم .. ولكن يجب أن تسرع بالفرار .
- إلا يغير هذا من شعورك نحوي ؟
- طبعاً لا .
- شكراً يا بوبي .. إنني لم اقتل توني ولكني اعرف قاتله .
فتعلقت بذراعه وقالت في لهفة :
- يجب ألا تضيع دقيقة واحدة !.
- نعم . ينبغي أن أسرع ، وسأذهب الليلة إلى ذلك الاجتماع ببيتكم الريفي .
فعضت على شفتها حتى لا تصيح وتمتمت :
- ولكنك تلقي بنفسك في قبضتهم ؟
- نعم .. سألقي بنفسي في قبضتهم معتمداً على الحظ في النجاة .
فرنت اليه الفتاة طويلاً .
ثم أجابت :
- إنك الزعيم وسأذهب معك .
- شكراً يا بوبي ، اني مدين لك بكثير من الشرح والايضاح ، وسأشرح لك ما غمض عليك أثناء الطريق .

* * *

كان سبعة رجال مجتمعين في ذلك الوقت ببيت هيمرز الريفي في لونج هيمرز ..
أما الثامن وهو دونوفان فلا يكاد يعد منهم ، إذ كان منطوياً على نفسه مستغرقاً في التفكير .. لا يفوه بكلمة ، إلا إذا سألوه عن شيء فيجيب في

اقتضاب ..

سبعة رجال ليس بينهم رابطة سوى انهم اجتمعوا في الماضي على السرقة والاحتيال .

ويجتمعون الآن لأنهم في أشد الخوف من أحد ضحاياهم ، وان كنا انصافاً للحقيقة نستثني منهم واحداً .

وقد اجتمعوا بغرفة المكتبة ، وهي غرفة أنيقة فخمة تشرف مباشرة على الحدائق الغناء التي تترامى حول البيت .

وخاطبهم رتزو هيمرز قائلا .

– انني أشدكم تأثراً وأفدحكم خسارة من جراء جرائم هذا الرجل ، فقد سلبكم كثيراً من النفائس ، أما أنا فقد فقدت زوجتي ، والمال قد يعوض ، ولكنها لم تنهض من قبرها ، وما أشك قط ان الرجل مجنون .

فقال دونوفان في نفسه :

– مجنون ، نعم ، ان هذا هو التعليل المعقول الوحيد لجرائمه .

ومضى هيمرز في حديثه :

ويظهر ان هذا الشخص يعتقد ان له ثأراً شخصياً عندنا نحن السبعة ، فقد قتل اليوم سائق توني ، وربما يقتل غداً واحداً منا .

وهنا تحولت ابصار المجتمعين فجأة إلى الشاب ولفريد هيوم .

إذ غاض من وجهه الابتسام ، وراح ينظر من فوق كتفي هيمرز إلى ناحية أخرى من الغرفة ، وقد ارتسمت على وجهه آيات الرعب والهول .

واتجهت الأنظار إلى تلك الناحية فرأوا بأحد ابواب الشرفة شاباً أشقر شاحب الوجه متقد العينين وبيده غدارة .

وعندما نظروا اليه انفجر ضاحكاً ..

ضحكة مريعة هائلة ..

ثم رأوا هيمرز يستوي واقفاً وهو يهتز اهتزاز القصبة امام العاصفة ، وهو ممتقع الوجه ، وعيناه جاحظتان .

واشار بيد مضطربة الى الشاب الواقف بباب الشرفة ، وهو يصيح بصوت مختنق :

– إنك لست هناك ! لا يمكن ان تكون هناك ! انك ميت ، ميت منذ سبع سنين ! اني واثق من ذلك ، فقد رأيتك .. وقتلتك !

* * *

كان في وسع ذلك الشاب ان يرديهم برصاص مسدسه دون ان يستطيعوا حراكاً . فلقد غمرتهم جميعاً موجة طاغية من الدهشة والذهول حتى دونوفان الذي كان يعتقد ان الشخص الواقف بباب الشرفة في عداد الموتى .

وانقطعت تلك الضحكة المدوية الرهيبة فجأة ، وسقط الشخص على الأرض غائباً عن الصواب إذ سددت اليه لكمة قوية ..

ثم ظهر في مكانه شاب آخر ، رشيق الجسم ، متوسط الطول ، شاحب الوجه ، مشعث الشعر .

فخطا الى الغرفة ..

فأدرك دونوفان فجأة ان هذا هو جون مون .. الرجل الذي يرمز الى نفسه بالحرف « ن » .

كان دونوفان يعرف من هو ..

فلقد رآه قبل ذلك .

ثم افاق ابرنازي من ذهوله وهب واقفاً على قدميه وهو يهتف :

– ها هو ! ها هو الرجل الذي سرقني ، هذا هو الوجه الذي رأيته

فقال مون في هدوء :

– نعم ، لكنه ليس وجه الرجل الذي قتل سائق هيمرز ؟

– كلا .. كلا .. إن القاتل هو الرجل الآخر .

وأشار إلى الشاب المستلقي على الأرض وقال مون :

– لست قاتل السائق توبي ، ولا بد لي في مقتل زوجة هيمرز أكثر مما لهذا الشاب المنكود المجنون .

ثم انثنى إلى دونوفان بابتسامة مودة وقال :

– لقد وعدتك ان أضع بين يديك قاتل دوروثي هيمرز وفلورنس ستار وليون مارتيلي ..

ثم بدت في وجهه سمات الجد والصرامة وأردف قائلاً :

– إنه رتزو هيمرز !

فاستجمع هيمرز قواه وصاح :

– هذا أفك وبهتان . ولقد كنت في النادي طوال الوقت . إنك رأيتني هناك يا هيوم ، وكذلك رآني ماك جي

وابتسم مون ابتسامة ساخرة وهو يقول :

– إذا أنفقت يا دونوفان بعد ظهر أحد الأيام في ناديك ، ورأيت بعض معارفك ، أكثر من ست مرات ، وشهد بواب النادي بموعد حضوره وانصرافه .. فهل تتردد في القسم ، انه لم يغادر النادي لحظة ؟

أجاب دونوفان

– بلا ريب .

فالتفت مون نحو هيمرز قائلاً :

– هذه هي الخطة التي اتبعها هيمرز تماماً لقد كنت تعلم أن امرأتك تجتمع بمارتيلي ، في ذلك البيت . إذ وشت بها اليك فلورنس ستار ،

وكنت تعلم انها ذاهبة بعد ظهر ذلك اليوم ، للالتقاء هناك بخليلهـا ، فتعمدت التحدث إلى بواب ناديك كي يذكر جيداً ساعة وصولك ، كما رحت تتصيد الأصدقاء وتفهمهم الى وجودك بالنادي .

وبعد ذلك ، انسللت من باب صغير ، يفتح على ممر السيـارات ، حيث قابلك توني بسيـارتك ، وذهب بك إلى البيت الذي سبقتك اليه إمرأتـك .

ولا أدري هل كنت تعتزم عند ذهابك ، إرغامها على طلاق لا يثير من حولك فضيحة تتنـاولها الصحف ؟. أم كنت تعتزم قتلها ، وإن لم تستعد لذلك ؟

ولكنك وجدتها هناك غائبة عن الوعي ، فانتزعت حبل ثوب حمام كان معلقاً بالغرفة وخنقتها به .

وكنت واثقاً مما وقفت عليه من أحوال البيت وسكانه ، انه يكون خالياً في ذلك الوقت ، فمضيت تفتش الغرف لتقتل مارتيلي . ولكنك لم تجد أحداً .

وهكذا عدت إلى ناديك ..

ولكنك لم تغب عنه أكثر من ثلاثة أرباع السـاعة – وأخذت تلقى الأصدقاء الذين كنت تتحدث اليهم من قبل ، فكانوا لا يترددون في أن يقسموا انك لم تغادر النادي قط .

ولكنك كنت تخشى ان تشي بك فلورنس ستار ، فلما اختفت أرسلت في أثرها سائقك توني .

ولما اهتدى إلى مسكنها ذهبت اليه ، ولم تكد المنكودة تفتح الباب حتى ضربتها بقبض عصاك الفضي ثم خنقتها .

وكنت تعلم أن ليون مارتيـلي زار الفتاة ، كما كنت تعلم أنهـا كتبت اليه رسالة .. فانتظرت حتى تلقى تلك الرسالة ثم قتلته أيضاً .

وحدثت إذ ذاك حركة ، لم يفطن اليها سوى ولفريد هيوم بعد فوات الفرصة لمنعها . فقد عاد الشاب المستلقي على الأرض إلى صوابه والقوم في شغل عنه بحديث مون .

ثم مد أصابعه وأخذ المسدس الذي سقط من يده ، وانتصب فجأة وراح يطلق على هيمرز الرصاص وهو يصيح :

– لقد انتظرت طويلاً ! طويلاً .. طويلاً .. طويلاً ..

وخر هيمرز على الأرض ميتاً من أول رصاصة .

ولكن المجنون مضى يطلق الرصاص على جثته الهامدة ، حتى أفرغ مسدسه .

وأفلت المسدس من بين أصابعه ، وراح يتلفت في الغرفة قائلاً :

– إمرأتي .. يجب أن أعود اليها . إمرأتي وابنتي ..

وهتف ولفريد هيوم :

– يا إلهي !. لقد نسي كل ما حدث له .. ولكن الآن أمسكوه !

بيد أن المنكود خر مغشياً عليه قبل ان يتحرك أحد منهم ، فقال جون مون :

– يجب أن يوضع بمكان مأمون قبل أن يفيق من غشيته ، فإنه لا يزال شديد الخطر .

لكنه قد أنفذ الانتقام الذي جعله نصب عينيه منذ فر من مستشفى الأمراض العقلية بفرنسا .

قال دونوفان :

– هذا محال . فإن الرجل الذي كان بالمستشفى هو جون بورتر .

فهز مون رأسه في تمهل قائلاً :

- كلا ، يا دونوفان ، فهذا هو الذي حجب عنك الحقيقة .. إن

الشخص الذي كان بالمستشفى . هو جون كارليس !

* * *

غشي القوم سكون عميق .. ثم وضع دونوفان يده على كتف جون مون ، وغادر الغرفة البوليس السري المظم ، واللص الشريف جنباً إلى جنب .

وما كاد البـاب يغلق خلفهما ، حتى التفت دونوفان إلى صاحبه قـائلاً :

– إني لم أكد أراك الليلة تدخل من باب الشرفة حتى أيقنت انك صاحب تلك الأعمال . وكثيراً ما بدا لي فيما مضى انك لا بد أن تكون « ن » ، ولكني كنت أعود فأرى أن هذا مستحيل لاعتقادي بأنك نزيل بمستشفى الأمراض العقلية . وقد وقفت الآن على جانب من الحقيقة ، فهلا أفضيت إلي ببقيتها ؟

رد جون بورتر أو جون مون :

– سأخبرك بكل ما خفي عنك .. فلنجلس لنتحدث .. إن ذلك المنكود ..

فقال دونوفان :

– لقد كنت أظنه ميتاً : ولذلك اختلط علي الأمر . كنت أعتقد ان كازاليس ميت وانك مجنون .

وكان هيمرز يعتقد كذلك انه ميت ، وعلينا أن نرجع إلى الوراء سبع سنين . إلى الليلة التي جاء فيها الى هنا جون كازاليس ليسوي حسابه مع هيمرز وانقطع أثره ..

فقال دونوفان :

– ماذا حدث له ؟ أتعرف عن هذا شيئاً ؟

– عرفت أكثره من عبارات متفرقة كان يفـوه بها المنكود من حين إلى حين ، ومما وقفت عليه بعد البحث والاستقصاء .. لقد جاء إلى هنا ، لكن هيمرز أبصر به قبل أن يصل اليه ، وقد سمعت مـــا قاله هيمرز الليلة . « إنك ميت .. فقد قتلتك » . وما كنت أعرف قبل ذلك أهو هيمرز أم توني الذي سدد الى الشاب الضربـة التي صرعته .. على ان هيمرز اعتقد انه مات . ولم يكن ثمة سوى طريقة واحدة للتخلص من جثته ..

– الخليج الأسود ؟

– نعم .. وقد حملوه الى الخليج الأسود ، وتركوه هناك معتقدين أن التيار سيجرفه ، ولكنهم لم يعلموا ان جون كازاليس كان لا يزال حياً ، وانه سيعود الى الرشد حين ترسو بالخليج سفينة من سفن تهريب الخمور .. وكان قبطان تلك السفينة طيب القلب ، وقد لقيتـــه فيما بعد ووقفت منه على القصة بأكملها .

لم يشأ ذلك الرجل الكريم ان يترك الشاب المنكود يقضي نحبه بتلك البقعة المهجورة ، فحمله معه حيث أنزله بالشاطىء الفرنسي وهو يجهل لغة البلاد وليس له ما يستعين به من المال او الأصدقاء .

ولم أستطع الوقوف على كل ما عاناه المسكين خلال تلك الفـــترة من الشقاء والهوان ، وقد فقد ذاكرتـــه وخولط في عقله ، ولكن بعض الأميركيين عثروا عليه أخيراً وهو على وشك الهلاك جوعاً وبرداً ، واتصل بي أمره فلقيته وعرفته في الحال ..

وكنت حين لقيته قد فقدت والدي كليهما على أثر تلك الكارثة المالية التي حدثت وأنا أدرس بباريس ..

وعدت بعد موت والدي الى فرنسا ، لأبيع ما كنت قد جمعت

من الكتب والصور والأثاث ، لكي أستعين بثمنه على إيجاد عمل أعيش منه .

فلما علمت بما أصاب جون كازاليس أجمعت رأيي على ان أصير الرجل الذي يرمز الى نفسه بالحرف (ن) ..

وفي سبيل إنفاذ هـذا العزم ، أدخلت جون كازاليس ، الى مستشفى للأمراض العقليـة ، تحت اسم جون بورتر ، وبدأت أعمال الجريمة ..

قال دونوفان مبتسماً .

– لقد وفقت في ذلك أعظم التوفيق .

– لا تنس إنني كنت أتخصص في دراسة الاجرام ، لكني صرت من كبار المجرمين بدلاً من ان أكون من كبار العلماء ..

– لم يبق إلا كيفية تصرفك بالأموال التي حصلت عليها ، وقد وقفت على ذلك من مولي كازاليس .

فقطب الشاب جبينه قائلاً .

– ألا ترى من الخير يا دونوفان ، أن تظل المسكينة ، جاهلة بحقيقة أمر زوجها ؟ ليس ثمة من أمل في شفائه ، والرأي عندي أن يرسل الى إحـدى المصحات ، بينما تمضي امرأتـه في الطريق الذي رسمته لنفسها .

قال دونوفان .

– إني أتفق معك والك ان تعتمد علي في ذلك .

– لم يبق إلا سؤال واحد : ماذا تريد أن تصنع بي ؟ لقد أتممت المهمة التي أخذتها على عاتقي ، فأخـذت من المجرمين السيمـة كل ما غصبوه ، وأعدت الى الضحايا كل ما سلب منهم ظلماً وعدواناً . ولا أنتظر منك إلا أن تسلمني الى يد العدالة .

فرمق البوليس السري اللص لحظة ..

ثم نهض وصافحه قائلاً :

– أشكرك على ما فعلت في سبيل إماطة اللثام عن قاتل دوروثي هيمرز والضحيتين الآخرين .

ثم سار الى إحدى النوافذ وأولاه ظهره وهو ينظر الى صورة على الجدار المقابل للنافذة وقال :

– سأضطر الى انتحال مختلف الاسباب ، للمجتمعين بالحجرة المجاورة ، ولكني سأكون في الخمس الدقائق التالية ، مستغرقاً في تأمل هذه الصورة الرائعة ، فلن أشعر بشيء مما يجري خلفي ، أما بعد ذلك فسيكون من واجبي مطاردتك .

فابتسم مون وانحنى محيياً ، وهم بالانسلال من أحد الأبواب المفضية الى التراس .

لكن دونوفان قال فجأة دون ان يدير اليه رأسه :

– قف لحظة .. لدي سؤال آخر .. لماذا اخترت الحرف « ن » توقيعاً لك ؟

رد مون من الباب :

– كنت أظنك عرفت ذلك.

ثم تابع وهو يغيب في الظلام :

– إنه الحرف الأول من اسم « نمسيس » إلهة الانتقام .

* * *

أسرع مون في حدائق هيمرز التي شملها الظلام نحو الطريق حيث كان جو

في انتظاره بالسيارة

وفيما هو يمر بجانب بعض الأغصان الملتفة الكثيفة ، ظهر شبح أمامه . فنظر اليه مون ثم مد يده قائلا :

– لقد كنت أرجو ان تسنح لك الفرصة لتوديعي .

فأجابه ولفريد هيوم وهما يسيران معاً :

– سأسير معك الى نهاية الحدائق ثم اقفل راجعاً .

وقال مون في صوت متهدج :

– لقد اسديت الي من المساعدات ما لا أستطيع وصفه . وكان ما رويته لي عن غيرة هيمرز الجنونية ، أكبر دليل لي الى معرفة سر الجريمة .

– يسرني ان استطعت مساعدتك ، ولكننا صديقان منذ وقت بعيد . وكان يخالجني الظن قبل ان القاك في تلك الليلة بأنك صاحب تلك الرسائل لما أعرفه من شغفك بدراسة الاجرام ولم يدهشني ان تتخذ الجريمة وسيلة رد الحقوق الى أصحابها .

وبلغا طرف الحديقة حيث كانت السيارة في الانتظار فوقفا .

قال هيوم :

– علام عولت الآن ؟

– الآن ؟ انني لا أزال هارباً من العدالة . لكني على وجه الأرض طليق من القيود وسوف نلتقي ثانية .

وتصافحا في صمت .

ثم سار مون الى السيارة وأخذ مكانه بها .

ولم تكد السيارة تنطلق في طريقها ، حتى شعر انه ليس وحده بالمقعد الخلفي .

فقد قبضت يده على يد صغيرة باردة ، والتفت مسرعاً ورأى في الظلام

وجه بوبي هيمرز .

— يا الله ماذا تفعلين هنا ؟

أجابت همساً :

— كان لا بد لي ان أراك مرة أخرى ..

فشد على يدها قائلاً :

— انك تعرفين ما حدث . هناك في البيت ؟

— لقد كنت بالشرفة طوال الوقت ، وسمعت كل ما قيل بالغرفة . ولكني لم أكن في حاجة الى سماع ما أفضيت به الى دونوفان ، فإني أعلمه .

— أكنت تعلمين اني جون بورتر ؟

- نعم — لقد تبينت ان أمك وأمي كانتا صديقتين ، ولم تعلم ان لدي صورة لأمك ، وكان في وسعي من هذه الصورة ان أعرفك برغم كل تنكرن . وكان ينبغي ان تعلم كذلك ان اسم « جون مون » يكفي للدلالة على شخصيتك ، فقد كان اسم امك لونا ، وكلتا الكلمتين « لونا » و « مون » معناهما واحد ، وهو القمر !

وتابعت الفتاة في حزن :

— إني لا أحب العودة الى ذلك البيت فليتك تأخذني معك

اجاب جون :

— كلا يا بوبي .. انك الآن صاحبة تركة هيمرز ، ولعلك تقدرين ما عليك من المسؤولية .

— نعم .. اني أقدرها لكن أنت ؟

— سأكون دائماً طريد العدالة . وقد اخترت هذا الطريق طائعاً مختاراً ، وسأمضي فيه قدماً .

وهنا لاحت أنوار القرية فأوقف السيارة قريباً من المحطة ، ونزلت بوبي

وهما يتهامسان بكلمة « الوداع » .

وبعد هنيهة انطلقت السيارة في سبيلها ، وقد وقفت فتاة ممتقعة الوجه تشيعها بنظرات اللوعة والأسى .

وظلت صورة هذه الفتاة ماثلة في خاطر جون مون بعد ان غابت عن بصره بزمن طويل .

أما دونوفان عاد الى ذلك البيت الذي خيم عليه الموت والحزن ، وجلس مفكراً ، لسوف يلقى ذات يوم في مكان ما ذلك الرجل الذي يوقع بالحرف (ن) .

– تمت –

